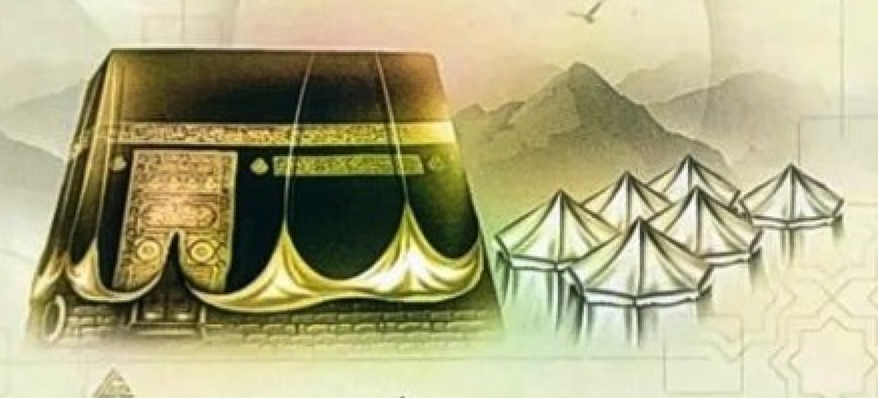


# أحوال السلف

## في الحج




تأليف

د. بدر بن ناصر البدر

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن من شعائر الإسلام الحج إلى بيت الله الحرام، وقد حج النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة، وحج معه أصحابه رضي الله عنهم الذين نقلوا لنا هديه وسنته في ذلك، وكان لهم معه عليه الصلاة والسلام وبعده مواقف محمودة وأحوال مرضية في اتباع السنة والعناية بها وتعليم الناس إياها، مع استغلال تلك الأزمان الشريفة والمناسك العظيمة بما هي جديرة به من الأعمال الصالحة والقربات المتنوعة وغير ذلك .

وقد جمعت من تلك المواقف والأحوال مع دراستها والإفادة مما ذكره أهل العلم والتعليق عليها، وإبراز الفوائد المستنبطة منها والدروس النيرة التي جاءت فيها، مع بيان بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بذلك، ما جاء في هذا البحث الذي جعلت عنوانه « **أحوال السلف في الحج** »، وقد سرت في كتابته حسب المخطط التالي :

- المقدمة :

- **المبحث الأول: فرضية الحج والترغيب فيه وبيان حكمه وأسراره .**

- **المبحث الثاني: قدسية البيت الحرام ومكانته .**

- المبحث الثالث: حث السلف على أداء الحج مع العناية بتصحيح النية وطيب النفقة .

- المبحث الرابع: أقوالهم في بيان الحج المبرور وتطبيقهم ذلك .

- المبحث الخامس: فضل يوم عرفة وأحوالهم فيه .

- المبحث السادس: فضل يوم العيد وأيام التشريق وأقوالهم فيها .

- المبحث السابع: عنايتهم بمعرفة السنة وتأدبهم في تعلمها.

- المبحث الثامن: حرصهم على اتباع السنة وتطبيقها وتحذيرهم من الخلاف.

- المبحث التاسع: الاهتمام بالسنة وثمار اتباعها .

- المبحث العاشر: المداومة على العمل الصالح بعد الحج .

- الخاتمة .

وقد قمت في هذا البحث بعزو الآيات وتخريج الأحاديث والآثار، وتوثيق النقول وإحالتها إلى مصادرها الأصلية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ولا أدعي بهذا العمل الإحاطة بتلك المواقف والدروس المستنبطة منها، فما ذكرته أمثلة موجزة، وفي بطون كتب السنة والسير والتراجم الشيء الكثير .

أسأل الله عز وجل أن ينفع به، وأن يغفر لي خطئي وزللي وتقصيري إنه غفور رحيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## المبحث الأول

## فرضية الحج والترغيب فيه وبيان حكمه وأسراره

الحج أحدُ أركانِ الإسلام، ومبانيه العظام، فرضه الله على عباده في العمر مرةً واحدة، وما ازداد به العبدُ بعد ذلك فهو تطوع، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ « هذه آيةُ وجوبِ الحج عند الجمهور، وقيل: بل هي قوله: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾، والأول أظهر، وقد وردت الأحاديثُ المتعددةُ بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمِه وقواعدِه، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع »[2].

وقد تضمن قولُه سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ من الحكم والأسرارِ ما يحث النفوسَ المؤمنةَ على أداء فريضة الحج، ويقوي العزائمَ وينهض الهممَ للقيام بهذا النسك العظيم، إيماناً بالله ورضاً بفرضيته واستسلاماً لأمر الله وحُكْمِه، واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم القائل « لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[3]، وفي بيان أسرار هذه الآية ونكاتِها ولطائِفها يقول ابنُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨٣ .

(٣) جزء من حديث جابر الذي رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ٩/ ٤٤ .

القيم: «ومن فوائد هذه الآية وأسرارِها أنه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرمُه، يَذْكُرُه بلفظ الأمر والنهي وهو الأكثر، أو بلفظ الإيجاب والكتابةِ والتحريم، نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، وفي الحج أتي بهذا النظم الدال على تأكد الوجوب من عشرة أوجه: أنه قدم اسمه تعالى، وقدم عليه لام الاستحقاق والاختصاص، ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العمومِ الداخلة عليهاِ حرفُ « على »، ثم أبدل منه أهلَ الاستطاعة، ثم نكَّر السبيل في سياق الشرط، إيذاناً بأنه يجب الحج على أي سبيل تيسرت من قوتٍ أو مال، فعلَّق الوجوبَ بحصول ما يسمى سبيلاً، ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر، فقال «ومن كفر» أي: بعد التزام هذا الواجب وتركه، ثم عظم الشأنَ وأكد الوعيد بإخباره باستغنائه عنه، والله تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد.. ثم أكد ذلك بذكر اسم العالَمين عموماً، ولم يقل: فإن الله غني عنه، لأنه إذا كان غنياً عن العالمين كلِهم، فله الغنى الكاملُ التام من كل وجه.. وكان أدلَ على عِظَمِ مقته لتاركِ حقِه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة « إن » الدالةِ على التوكيد»[1].

وقد جاءت الأحاديث النبوية آمرةً بالحج حاثة عليه مرغبة فيه، ومحذرةً من أعرض عنه وتكاسل في أدائه، متى استَجْمعت فيه شروطُ الحج، فإنه حينئذٍ واجب على الفور، ففي الأمر بالحج وبيانِ أنه أحدُ أركان الإسلام ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد ٢/ ٤٥.

قال: « **بني الإسلام على خمس، شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِ البيت من استطاع إليه سبيلاً**» رواه البخاري ومسلم [١]، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « **أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** »، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لو قلتُ نعم لوجبت، ولما استطعتم** »، ثم قال: « **ذروني ما تركتكم، فإنما هلك مَنْ كان قبلكم بكثرة سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه** »[٢].

ومما ورد في الترغيب في الحج ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** »[٣]، ورويا أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[٤]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح -كتاب الإيمان- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «بني الإسلام على خمس» ١/ ٤٩رقم (٨)، ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي-كتاب الإيمان-باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١/ ١٧٦

(٢) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب فرض الحج مرة في العمر ٩/ ١٠١،١٠٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب العمرة- باب وجوب العمرة وفضلها ٣/ ٥٩٧ برقم١٧٧٣، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب العمرة- باب فضل الحج والعمرة ٩/ ١١٧ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب فضل الحج المبرور ٣/ ٣٨٢ برقم ١٥٢١ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب فضل الحج والعمرة ٩/ ١١٩ .

وسلم: « **ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء**» رواه مسلم[١]، وغيرُ ذلك من الأحاديث في فضلِ الحج والترغيبِ فيه .

قال ابن القيم -رحمه الله -: «ثم تأمل كيف افتتح هذا الايجاب -أي إيجاب الحج- بذكر محاسنِ البيت، وعظَّم شأنه بما يدعو النفوس إلى قصده وحجه، وإن لم يُطْلَبْ ذلك منها، فقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ ، فوصفه بخمس صفات، **أحدُها**: أنه أسبق بيوتِ العالم وضع في الأرض، **الثاني**: أنه مبارك، والبركةُ كثرةُ الخيرِ ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه، ولا أكثرَ خيراً ولا أدومَ ولا أنفعَ للخلائق، **الثالث**: أنه هدى.. **الرابع**: ما تضمنه من الآيات البينات... **الخامس**: الأمنُ لداخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجابِ قصده، ما يبعث النفوسَ على حجه، وإن شطت بالزائرين الديارُ، وتنائت بهم الأقطار .

وهذا يدلك على الاعتناء منه سبحانه بهذا البيت العظيم والتنويه بذكره، والتعظيمِ لشأنه والرفعةِ من قدره، ولو لم يكن له شرفٌ إلا إضافتَه إياه إلى نفسه بقوله: ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ لكفى بهذه الإضافةِ فضلاً وشرفاً، وهذه الإضافةُ هي التي أقبلت بقلوب العالَمين إليه، وسَلَبَتْ نفوسَهم حباً له وشوقاً إلى رؤيته، فهو المثابةُ للمحبين، يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب فضل يوم عرفة ٩/ ١١٧ .

ازدادوا له زيارةً ازدادوا له حباً وإليه اشتياقاً »[١]. ا.هـ مختصراً.

لقد جاء في الكتاب والسنة الأمر بالحج والترغيب في أدائه ومتابعة هذا العمل الصالح، وأبانت الأدلة آثارَه على أهله في الدنيا والآخرة، إبانةً تدفع النفوسَ المؤمنةَ إلى المسارعةِ والمبادرةِ في طلب ذلك الفضل، بل ويهوّن أنواعَ المتاعب والمشاق، وأنواعَ الإعطاء والإنفاق، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾[٢] الآيات، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُ الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله ورسوله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **جهادٌ في سبيل الله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **حج مبرور** »[٣]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « شدوا الرحال في الحج، فإنه أحدُ الجهادين » رواه البخاري[٤].

ثم إن في شريعة الإسلام وأحكامِها الغراء المصالحَ الشريفة والحكمَ العظيمة، وقد يظهر لأهل العلم شيء من ذلك، وذكرِهُم لهذه الحكم من هذه العبادات إنما هو حثٌ على أدائها طاعةً لله عز وجل بفعلها، والتزود منها، وهناك من الحكم والأسرار في شرعيتها الشيءُ الكثير الذي لا نعلمه،

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد ٢/ ٤٥.

(٢) سورة الحج، الآيتان ٢٧-٢٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب فضل الحج المبرور ٣/ ٣٨١ برقم ١٥١٩، ومسلم في صحيحه -كتاب الإيمان- باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٢/ ٧٢

(٤) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الحج على الرحل ٣/ ٣٨٠ تعليقاً.

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١].

ومن العبادات التي تكلم أهلُ العلم في حكمة مشروعيتها وبيانِ أسرار فرضيتها الحجُ وشعائرهُ، قال ابن القيم رحمه الله: « وأما الحجُ فشأن آخر، لا يدركه إلا الحنفاءُ الذين ضربوا في المحبة بسهم، وشأنُه أجلُ من أن تحيط به العبارة، وهو خاصةُ هذا الدين الحنيف ومعونة الصلاة وسر قول العبد: لا إله إلا الله ، فإنه مؤسس على التوحيد المحض والمحبة الخالصة، وهو استزارة المحبوب لأحبابه ودعوتهم إلى بيته ومحل كرامته، ولهذا إذا دخلوا في هذه العبادة فشعارهم: لبيك اللهم لبيك، إجابة محب لدعوة حبيبه، ولهذا كان للتلبية موقع عند الله، وكلما أكثر العبد منها كان أحب إلى ربه وأحظى، فهو لا يملك نفسه أن يقول: لبيك اللهم لبيك حتى ينقطع نفسه، وسائرُ شعائر الحج مما شهدت بحسنه العقولُ السليمة والفطرُ المستقيمة، وعلمت بأن الذي شَرَعَ هذه لا حكمة فوق حكمته »[٢] ا.هـ مختصراً.

وممن تحدث في بيان حكم الحج وأسراره ابن قُدامة، فمما ذكره :أن يتذكرَ بتحصيل الزاد زادَ الآخرة من الأعمال، وليحذر أن تكون أعمالُهُ فاسدة من الرياء والسمعة، فلا تصحبُه ولا تنفعه، كالطعام الرطب الذي يفسد في أولِ منازلِ السفر، فيبقى صاحبُه وقت الحاجة متحيراً.

وإذا فارق وطنَه ودخل الباديةَ وشهد تلك العقبات والصعابِ والشدائد، فليتذكر بذلك خروجه من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة، وما

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤

بينهما من الأهوال .

ومن ذلك أن يتذكر وقتَ إحرامه وتجرده من ثيابه أنه يلبس كفنه، وأنه سيلقى ربه بزي مخالفٍ لزي أهل الدنيا، وأنه يأتي ربه متجرداً من الدنيا ورفعتِها وغرورها، ما معه إلا عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ وليرجِ القبولَ وليخش عدمَ الإجابة، وليتذكر خيرَ من لبى وأجاب النداء، محمداً صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، وليعزم على الاقتداء به واقتفاء سنته واتباعِ طريقه .

وإذا وصل إلى الحرم فينبغي أن يرجو الأمن من العقوبة، وأن يخشى أن لا يكون من أهل القرب عند الله، معظماً رجاءه في ربه محسناً ظنه به، فإذا رأى البيت الحرام استحضر عظمةَ الله في قلبه وعَظُمَت خشيتُه له، وازداد له هيبة وإجلالاً، وشَكَر الله تعالى على تبليغه رتبةَ الوافدين إليه، وليستشعر عظمةَ الطوافِ به فإنه صلاة .

وأما الوقوفُ بعرفة والمبيتُ بمزدلفة ثم في منى فيتذكر بما يرى من ازدحامِ الخلق وارتفاعِ أصواتهم واختلافِ لغاتهم موقف القيامة، واجتماع الأولين والآخرين في ذلك الموطن وما فيه من أهوال وشدائد ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ ﴾[1].

وإذا جاء رميُ الجمار فاقصدْ بذلك الانقيادَ للأمر، واظهارَ الرق

(١) سورة القيامة، الآيات ١٠ – ١٣ .

والعبودية والحاجةِ والفاقة، وامتثالَ السنة واتباعَ الطريقة، وتقديمَها على حظوظ النفس ورغباتِها[١] ا.هـ

لقد جمع الحجُ بمناسكه عبادتين عظيمتين، ماديةٍ بالبذل والنفقة، وبدنيةٍ بالقيام بشعائره وأداءِ مناسكه، كما حج عليه الصلاة والسلام القائل: «**لتأخذوا مناسككم**»، ولذلك كان الصالحون من عباد الله يتحسرون على فوات الحج وعدم تمكنِهم منه، على أن المتخلفَ لعذر شريكُ السائر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك: «**إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر**»[٢]. يحدوهم قول الشاعر:

**يا سائرين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا**

**إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ... ومن أقام على عذر كمن راحا**

ولهؤلاء وغيرهم يقال ليست العبرةُ بكثرةِ العمل، إنما العبرةُ بقبوله مع إخلاص النية وسلامة القلب وطهارتِه من كل ما يشوبه، وقوةِ التعلق بالله، خشيةً منه ومحبة وإجلالاً وتعظيماً له، ورغبةً فيما عنده وزهداً في الدنيا وما عند الناس .

قال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: «أنتم أكثر صلاة وصياماً من أصحابِ محمد صلى الله عليه وسلم، وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: ولم؟

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٤٢، ٤٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الجهاد- باب من حبسه العذر عن الغزو ٦/ ٤٦ برقم ٢٨٣٩ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

قال: كانوا أزهدَ منكم في الدنيا وأرغبَ في الآخرة»[١]، وقال بكر بن عبدالله المزني: «ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره»[٢]، قال بعضُ أهل العلم: «الذي وقر في صدره حبُّ الله والنصيحةُ لخلقه»، وقال الفضيل بن عياض: «لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصحِ للأمة»[٣].

فعلى المسلم المبادرةُ إلى الطاعة والتزودُ من نوافل القربات والمسارعةُ في ميادين الصالحات وسؤالُ الله القبولَ بعد هذا كلِه، كما هي دعوة الخليلِ إبراهيمَ وابنهِ إسماعيلَ عليهما السلام بعد أن عَمِلاَ أفضلَ الأعمال وأشرفَها، حيث رفعا الكعبة وبنياها، قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٤].



(١) ينظر: المستدرك للحكم ٤/ ٣٥٠، شعب الإيمان ٧/ ٣٧٤، الزهد لابن المبارك ١/ ١٧٣.

(٢) منهاج السنة النبوية ٦/ ٢٢٣، ٨/ ٤٩٣، مفتاح دار السعادة ١/ ٨٢، فيض القدير ٤/ ١٤٤، جامع العلوم والحكم ١/ ٣٠، وفي بعضها عن أبي بكر بن عياش.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠٣، شعب الإيمان ٧/ ٤٣٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

## المبحث الثاني

## قدسية البيت الحرام ومكانته

جعل الله بيتَه الحرامَ ملتقى جموعِ المؤمنين و قبلةَ أهلِ الإسلام أجمعين، تتوجه إليه القلوب، وتفد إليه الوفودُ من كل فج عميق في كل وقت وحين، وما برح هذا البيت المعظم بحفظ الله ورعايته، يتطلع إليه المسلمون ويتنافس في بلوغ رحابه المتنافسون، يعيشون في أمنه وأمانه، وتوافر خيراته وأرزاقِه، ينعمون في ظلاله ويتفيؤن ما ينالهم من بركاته، قال تعالى ممتناً على عباده بذلك ومذكراً بهذه النعم المترادفة والآلاء الجمة ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[3].

لقد جمع الله لهذا البيت وأهلِه وقاصديه مزيتين بهما تحصل السعادةُ بتمامها، والطمأنينةُ بكمالها: سعةَ الرزق والأمانَ من الخوف، قال عز وجل: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾[4].

فمن خصائص هذا الحرم أنه حقيقٌ بالتعظيم والإجلال والاحترام،

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٧ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٧ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٧ .

(٤) سورة قريش، الآيتان ٤،٣ .

وقد اتفقت قبائل العرب طراً على احترام هذا البيت وتعظيمه، حتى إن الرجل يرى قاتلَ أبيه أو أخيه فلا يمسه بسوء، لأنه في أمان مادام أنه في الحرم، مضى على هذا عملُ الجاهلية، مع ما بين أهلها من اختلافِ المنازع وتباينِ الأهواء والمشارب، وتعددِ الأوثان والمعبودات، وكثرةِ الضغائن والأحقاد.

وقد أقر الإسلام هذه الميزة لبيت الله الحرام، وأما ما كان من المسلمين يوم فتح مكة فكان لضرورة تطهيره من الشرك ولأجل أن يعبد اللهُ وحده، ومع ذلك فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي** »[١] الحديث. على أن فتح مكة لم يؤثر على أمر الحرم وقدسيته شيئاً، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي « **من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن** »[٢].

وقد اتفق الفقهاء على أن من جنى في الحرم فهو مأخوذ بجنايته سواء كانت في النفس أم فيما دونها، واختلفوا فيمن جنى في غير الحرم ثم لاذ به ولجأ إليه، فقال أبوحنيفة وأصحابه: إذا قتل في غير الحرم ثم دخل الحرم لم يُقتص منه مادام فيه، لكن لا يجالس ولا يعامل ولا يؤاكل إلى أن يخرج منه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في مواضع منها: -كتاب جزاء الصيد- باب لا يعضد شجر الحرم ٤/ ٤١ برقم ١٨٣٢، ومسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب تحريم مكة وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ٩/ ١٢٣-١٢٦.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه -كتاب الجهاد- باب فتح مكة ١٢/ ١٣٣.

فيقتصَ منه، وإن كانت جنايته فيهادون النفس في غير الحرم ثم دخل الحرم، اقتص منه، وقال مالك والشافعي: يقتص منه في الحرم لذلك كلِه، وقد روي عن ابن عباس وابنِ عمر وعبيدالله بن عمير وسعيدِ بن جبير وطاووسٍ والشعبيِ فيمن قتل ثم لجأ إلى الحرم أنه لايقتل، قال ابن عباس: ولكنه لا يُجالس ولا يُؤوى حتى يخرج من الحرم فيقتل، وإن فعل ذلك في الحرم أقيم عليه الحد، وروى قتادة عن الحسن أنه قال: لا يمنع الحرمُ من أصاب فيه أو في غيره أن يقام عليه الحد، وكان يقول في قوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ كان هذا في الجاهلية، لو أن رجلاً جر كلَّ جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتعرَضْ له حتى يخرج من الحرم، أما الإسلام فلم يزده إلا شدة، من أصاب الحد في غيره،ثم لجأ إليه أقيم عليه الحد[1] .

إن ساكنَ البلدِ الحرام وقاصدَه يعيش هاتين المزيتين، ويشهدهما واقعاً ملموساً، رغدٌ في العيش، واستتبابٌ في الأمن، وتوفرٌ في المطاعم والمشارب، يُجبى إليه ثمرات كل شيء، كلُ هذا يسهل عليه العيش في أجواء روحانية وأيامٍ مباركة بجوار بيت الله العتيق، يرجو رحمة الله ويؤملُ مغفرته، يتطلع إلى عمل مبرور وسعي مشكور، قد لاذ بربه، متذللاً منكسراً بين يديه، يسأله العفو والصفح عما سلف وكان من الذنوب والعصيان.

وقد استجاب الله دعاء خليلهِ ونبيهِ إبراهيم عليه السلام حين دعا ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ١٢٤، جامع البيان ٧/ ٣٠-٣٣ .

لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[١]، فما من مسلم في صقع من أصقاع الأرض نوَّر الله قلبه بالإيمان وحبِ الله ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم إلا وقلبُه يأمل زيارةَ البيت الحرام ومسجدَ الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا تزالُ هذه الأمنية تتلجلجُ في صدره وتختلجُ في فؤاده، وتكون معه دائماً في كل حركاته وسكناته وخطراته[٢].

إن المسجد الحرام هو أولُ بيت بني على الأرض لعبادة الله وحده، بناه إبراهيم الخليل وشاركه ابنُه إسماعيل عليهما السلام، ونبيُّ الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ثمرة دعوة صدرت من هذين النبيين الكريمين البانيين لهذا البيت العتيق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[٣].

لقد أقيم هذا البيت العتيق على قاعدة التوحيد ليبقى خالداً عامراً بإذن الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[٤]. وكان

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

(٢) انظر كلاماً لابن القيم في هذا .زاد المعاد ١/ ٥١-٥٢

(٣) سورة البقرة، الآيات ١٢٧ - ١٢٩.

(٤) سورة الحج، الآية ٢٦.

-بفضل الله وإحسانه- القبلةَ الواحدة لهذه الأمة، بـه قيـامُها وإلـيه مثابتُها، قـال عـز وجل: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[2].

ولما أقيم هذا البيت على قواعد التوحيد ومبادئِ الحنيفية، والخلوصِ من الشرك وأهله، أمر الله خليله بالأذان للناس لحج هذا البيت وتعظيم حرماتِ الله وشعائرِه، مع ما يكون لهم من منافعَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ ﴾[3] الآيات.

ومنذ ذلك النداء ووفودُ الرحمن تتوافدُ مـن كـل فـجٍ، عـلى الأقـدام وركباناً على ما سخر الله لهم، وما فتئت النفوس المؤمنة تتطلع إلى رؤية هـذا البيتِ والطواف حوله والصلاةِ في جنباته، وفي ذلك مـن الأنـس والراحـةِ والنعيمِ ما تعجز العبارةُ عن وصفه. يقول الشاعر:

**أخي إن زرت بيتي الله تبغي رضا أو تشتكي هماً وحزناً**

**ففي تلك الرياض نعيم أنس لنـــاءٍ إن دعاه الشوق حنا**

ولعل هذا من أسرارِ عظمة الحج وأثرِه في النفوس، وقد أبان ذلـك الماورديُ بقوله «ثم فرض الحج، فكان آخرَ فروضه، لأنه يجمع عمـلاً عـلى بدنٍ وحقاً في مال، فجعل فرضَه بعد استقرار فـروضِ الأبـدان وفـروض

---

(١) سورة المائدة، الآية ٩٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٥ .

(٣) سورة الحج، الآية ٢٧ .

الأموال، ليكون استئناسُهم بكل واحد من النوعين ذريعةً إلى تسهيل ما جَمَع بين النوعين، فكان في إيجابه تذكيرٌ ليوم الحشر بمفارقة المال والأهل، وخضوعُ العزيزِ والذليل في الوقوف بين يديه، واجتماعُ المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبةِ إليه، وإقلاعُ أهل المعاصي عما اجترحوه، وندمُ المذنبين على ما أسلفوه، فقلَّ من حج إلا وأحدث له الحجُ توبةً من ذنب، وإقلاعاً من معصية»[1].

إن أسرار الحج وحكمَه لا يحس بها ولا يعرفها حقَ المعرفة إلا من أدى حجه على الوجه الأكمل، فالحجُ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، قال أهلُ العلم: الحج المبرور هو الذي قام به صاحبُه متحرياً سنةَ النبي صلى الله عليه وسلم مع الإخلاص لله عز وجل، وعن جابر رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الحج المبرور؟ قال: « **إطعام الطعام وطيب الكلام** » رواه أحمد والطبراني والحاكم[2]، وسئل سعيد بن جبير: أي الحج أفضل؟ قال: «من أطعم الطعام وكف اللسان »[3]، وقال الحافظ ابن حجر نقلاً عن القرطبي: « هو الحج الذي وفيت أحكامه ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل »[4]. فمعاني الحج وأهدافُه السامية

---

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين ص ٩٦ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٨٣ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في المسند ٣/ ٣٢٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٠٧ وقال (( رواه أحمد وفيه محمد بن ثابت وهو ضعيف، ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن )).

(٣) ينظر: لطائف المعارف ٤١١

(٤) ينظر: فتح الباري ٣/ ٣٨٢.

إنما تتحقق بحج مبرور، قد وُفق صاحبه لاتباع السنة واقتفاءِ الأثر، مع الحذر مما يخدش حجَه أو ينقص من أجره، من قول أو فعل مخالف، صغر أم كبر.



*المبحث الثالث*

## حث السلف على أداء الحج مع العناية بتصحيح النية وطيب النفقة

وكما جاءت الأدلة من الكتاب والسنة في بيان فرضية الحج وفضله فقد كثرت أقوال الصحابة وسلف الأمة في بيان آكدية الحج ووجوب أداء الفرض منه على الفور والتحذير من تأخيره، والحث على التزود منه، وجاءت أفعالهم واقعاً حياً وتطبيقاً جلياً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك ما رواه عبد الرزاق في مصنفه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج فرأى ركباً فقال: «من الركب؟ قالوا: حاجين، قال: ما أنهزكم غيره؟ -أي ما أخرجكم غيره- ثلاث مرات، قالوا: لا، قال: لو يعلم الركب بمن أناخوا لقرت أعينهم بالفضل بعد المغفرة، والذي نفس عمر بيده ما رفعت ناقة خفها ولا وضعته إلا رفع الله له درجة وحط عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة »[1]، وروى أيضاً عن كعب أنه قال: « وفد الله ثلاثة: الحاج والعمّار والمجاهدون، دعاهم الله فأجابوه، وسألوا الله فأعطاهم »[2].

وأداء الحج والقيام بالعمرة عمل صالح حري من ختمت حياته به أن يكون علامة على حسن خاتمة صاحبه من الدنيا، فإن العبد يبعث على ما مات عليه، ولهذا كان السلف يحرصون على الإكثار من الحج لعله أن تختم

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ٤-٥، وانظر: مجمع الزوائد ٣/ ٢٧٤-٢٧٧.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ٥، وانظر: مجمع الزوائد ٣/ ٢١١.

حياتهم به، قال طلحة اليامي: «كنا نتحدث أنه من ختم له بإحدى ثلاث، إما قال وجبت له الجنة، وإما قال برئ من النار، من صام شهر رمضان فإذا انقضى الشهر مات، ومن خرج حاجاً فإذا قدم من حجته مات، ومن خرج معتمراً فإذا قدم من عمرته مات»[١].

إن فضل الحج عظيم وثوابه جزيل إذ ليس له جزاء إلا الجنة إذا كان مبروراً خالصاً لله عز وجل موافقاً للسنة، فكيف يُعدل به غيره من الأعمال الصالحة الأخرى، فالحج عبادة مالية بدنية، قال رجل لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (( يا أبا موسى إني كنت أعالج الحج -أي أزاوله وأمارسه- وقد ضعفت وكبرت، فهل من شيء يعدل الحج؟ قال له: هل تستطيع أن تعتق سبعين رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل؟ فأما الحل -أي النزول- والرحيل فلا أجد له عدلاً أو قال مثلاً »[٢]، وقال أبو الشعثاء: «نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن دون المال، والصيامُ كذلك، والحج يجهدهما فرأيته أفضل»[٣].

وقد ذكر بعض أهل العلم الخلاف في تفضيل الحج تطوعاً أو الصدقة النافلة، حيث ذهب أكثر السلف إلى تفضيل حج التطوع، روى عبد الرزاق وابن أبي حاتم عن بكار بن عبدالله اليماني قال «سئل طاووس: الحج بعد الفريضة أفضل أم الصدقة؟ فقال:أين الحل والرحيل والسهر والنصب والطواف بالبيت والصلاة عنده والوقوف بعرفه وجمع ورمي الجمار؟ » كأنه

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ٩.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ٧.

(٣) ينظر: صفة الصفوة ٣/ ٢٣٧، لطائف المعارف ٤٠٨.

يقول: الحج[١]، فلهذه العبادات الفاضلة في تلك المشاعر المقدسة كان الحج أفضل الأعمال مع الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن قام به، وذهب آخرون إلى تفضيل الصدقة على الحج، ومنهم من فصَّل في المسألة فقال: «إن كان ثمَّ رحمٌ محتاجة أو زمنٌ مجاعة فالصدقة أفضل، وإلا فالحج، وهو نص أحمد، وروي عن الحسن معناه، وأن صلة الرحم والتنفيس عن المكروب أفضل من التطوع بالحج»[٢].

ومن فقه السلف الصالح رحمهم الله عنايتهم بتصحيح النية في أعمالهم، ومن ذلك الحج، وإخلاصهم في أدائه، فلا يقصدون بحجهم رياء ولا سمعة، ولا مباهاة ولا فخراً ولا خيلاء، إنما يقصدون به وجه الله ورضوانه، فكان أحدهم يتواضع في حجه ويستكين ويخشع لربه، استشعاراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** » رواه مسلم[٣]، وروى الإمام أحمد والطبراني عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال:الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا**

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ١٢ .

(٢) ينظر: مصنف عبدالرزاق ٥/ ١٢، ولطائف المعارف ٤٠٨ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الزهد- باب تحريم الرياء ١٨/ ١١٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

**فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »**[(١)]، وروى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حجَّ على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم ثم قال: « **اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة** »[(٢)].

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه وهو بطريق مكة: «تشعثون وتغبرون وتتفلون وتضحون ولا تريدون بذلك شيئاً من عرض الدنيا، ما نعلم سفراً خيراً من هذا »[(٣)] يعني الحج، وروي عنه أنه قال: «إنما الحاج الشعث التفل »[(٤)]، وروي عن بعض التابعين قال: «رب محرم يقول: لبيك اللهم لبيك، فيقول الله: لا لبيك ولا سعديك هذا مردود عليك، قيل له:لم؟ قال: لعله اشترى ناقة بخمسمائة درهم ورحلاً بمائتي درهم ومفرشاً بكذا وكذا، ثم ركب ناقته ورجَّل رأسه ونظر في عِطْفيه، فذلك الذي يرد عليه»[(٥)].

من أجل هذا كانت عناية السلف من الصحابة والتابعين متوجهة إلى إخلاص العمل وتصحيحِ النية، فليست العبرةُ بكثرة العمل وتنوعهِ، إنما

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٤٢٨-٤٢٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٠٢ "رجاله رجال الصحيح"، والطبراني في الكبير رقم ٤٣٠١، قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٢٢ "رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن شبيب بن خالد وهو ثقة" وحسن الحافظ إسناده في بلوغ المرام ص٣٠٢.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه -كتاب المناسك- باب الحج على الرحل، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٣٣٧ ٢/ ١٤٩.

(٣) ينظر: لطائف المعارف ٤٢٠.

(٤) ينظر: لطائف المعارف ٤٢٠.

(٥) ينظر: لطائف المعارف ٤٢٠.

العبرةُ بالقبول القائم على الإخلاصِ لله فيه، فلا يكونُ لمخلوقٍ حظٌ ونصيبٌ فيه، ويكونُ أيضاً موافقاً للكتابِ والسنة، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من عمل عملاً ليس أمرنا فهو رد**»[١]، فكانوا ينظرون في قبول الأعمال إلى هذين الأصلين: الإخلاصِ والمتابعة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[٢]، وسئل الفضيل بن عياض عن قوله سبحانه: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾[٣] قال: «أخلصه وأصوبه»[٤].

ولهذا لما قال رجل لابن عمر ما أكثر الحاج، أجابه ابن عمر بقوله: «بل ما أكثر الركب وما أقل الحاج، ثم رأى رجلاً على بعير، على رَحْلٍ رثٍ، خطامُه حَبْلٌ، فقال لعل هذا»[٥]، وقال شريح: «الحاجُ قليل والركبان كثير»[٦]، فما أكثر الذين يعملون الخير، ولكن ما أقل الذين يريدون وجه الله.

وهذا حق، فما أكثرَ مَنْ يقصد البيت الحرام لحج أو عمرة، لكن قد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الأقضية- باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٢/١٦.

(٢) سورة الكهف، الآية الأخيرة.

(٣) سورة الملك، الآية ٢.

(٤) ينظر: الاستقامة ٢/ ٣٠٩، جامع العلوم والحكم ١/ ٧٢.

(٥) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ١٩.

(٦) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ١٩.

تكون نفقتُه من حرام، أو يكون حجُه أو عمرتُه رياء وسمعة، وتكثراً أو مباهاةً عند الناس، أو يكون حجُه على غير سنة ولا موافقة للشريعة، ومن الناس من أعانهم الله جل وعلا على إخلاصِ نياتهم وطيبِ مكاسبهم وحِلِ أموالهم، ثم وفقهم سبحانه وتعالى لأداء الحج أو العمرة حسب السنة، موافقةً لعمل النبي صلى الله عليه وسلم القدوةِ الأسوة، بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وهكذا كانت أعمال السلف الصالح صغيرُها وكبيرها إخلاصٌ لله تبارك وتعالى وإخفاءٌ لها حتى عن أقرب الناس إليهم، صيانةً لها من الرياء والسمعة وحبِ الظهور، يحكي ذلك عنهم الحسن البصري رحمه الله بقوله: «إنْ كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جارُه، وإنْ كان الرجلُ لقد فَقُه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإنْ كان الرجل ليصلي الصلاةَ الطويلةَ في بيته وعنده الزور-أي الضيف الزائر- وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عملٍ يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانيةً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[2]، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً فرضي فعله، فقال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾[3][4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٥ .

(٣) سورة مريم، الآية ٣ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٢/ ٤٨٥ .

وكانت عنايتهم رحمهم الله أيضاً شديدةً بالنفقة في الحج من حيث كسبُها وجمعُها، فلا تكون إلا من حلالٍ لا شبهةَ فيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ ﴾[1]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[2]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك** » رواه مسلم[3].

وطيبُ النفقة في الحج أصلٌ في قبول العمل، روى الطبراني وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: « إذا خرج الرجلُ حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجلَه في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غيرُ مأزور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ونفقتك حرام، وحجك غيرُ مبرور »[4].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥١ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الزكاة- باب كل نوع من المعروف صدقة ٧/ ١٠٠ .

(٤) رواه المنذري في الترغيب ٢/ ١٨٠ وقال "رواه الطبراني في الأوسط" وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٩٢ وقال "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف".

وروى عبد الرزاق عن أبي إدريس الخولاني قال: «أربع في أربع لا تُقْبَلُ في حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة، الخيانةُ والسرقة والغُلولُ ومال اليتيم »[1]، ومما قيل في ذلك شعراً:

**إذا حججت بمال أصله سحت  فما حججت ولكن حجت العير**

**لا يقبل الله إلا كل طيبة  ما كل من حج بيت الله مبرور**

وكان بعض السلف لسخاء نفسه وكرمه وجوده ينفق على أصحابه في الحج رغبةً فيما عند الله، وبذلاً لماله في أشرف العبادات، ومن أجل تحقيقِ وتحصيلِ أفضل القربات الحج، وكانوا رحمهم الله يتسابقون إلى هذا الأمر ويتفانون فيه، ومن أشهر مَنْ روي عنه ذلك، الإمامُ عبدُالله بنُ المبارك، أمير المؤمنين في الحديث، يقول عنه الحافظ الذهبي: « شيخُ الإسلام، عالمُ زمانه، وأميرُ الأتقياء في وقته، .... أكثرَ من الترحال والتِطواف، وإلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة، وفي الإنفاقِ على الإخوان في الله وتجهيزِهم معه إلى الحج »[2].

ثم ذكر حاله معهم بقوله: «كان ابنُ المبارك إذا كان وقتُ الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفاقتِكم، فيأخذ نفقاتِهم فيجعلُها في صندوق ويقفلُ عليها، ثم يكتري لهم ويخرجُهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمُهم أطيبَ الطعام وأطيبَ الحلوى، ثم يخرجُهم من بغداد بأحسن زي وأكملِ مروءة، حتى

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف ٥/ ٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨.

يصلوا إلى مدينةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولُ لكل واحد: ما أَمَرَك عيالُك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجُهم إلى مكة، فإذا قضوا حجَهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول:كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجُهم من مكة فلا يزال ينفقُ عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا كان بعد ثلاثة أيام عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وسُرُّوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه »[١] .

وروي أنه قال له الفضيل بن عياض: «أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟-أي كان تاجراً- قال: يا أباعلي إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرمَ عرضي، وأستعينَ به على طاعة ربي، فقال الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تمَّ ذا »[٢] .



---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٦،٣٨٥ وانظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٧، ١٥٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧، وانظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٠ .

## المبحث الرابع

## أقوالهم في بيان الحج المبرور وتطبيقهم ذلك

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » ، وللسلف رحمهم الله في المراد بالحج المبرور أقوالٌ كثيرة، وكانت أفعالُهم وأحوالُهم في الحج تطبيقاً لهذه المعاني الفاضلة، والصفات الشريفة.

فمن معاني الحج المبرور فعلُ الطاعات كلِها، والإتيانُ بأعمال البر، وقد فسر الله تعالى البر بذلك في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1].

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «فتضمنت الآيةُ أن أنواعَ البر ستةُ أنواع، من استكملها فقد استكمل البر، أولُها:الإيمان بأصول الإيمان الخمسة، وثانيها:ايتاءُ المال المحبوبِ لذوي القربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيل والسائلين وفي الرقاب، وثالثها:إقامُ الصلاة، ورابعها: ايتاء الزكاة، وخامسها:الوفاء بالعهد، وسادسها:الصبرُ على البأساء والضراء وحين البأس .

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧ .

وكلُها يحتاج الحاجُ إليها، فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان، ولا يكملُ حجه ويكونُ مبروراً بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن أركان الإسلام بعضُها مرتبطة ببعض، فلا يكمل الإيمان والإسلام حتى يؤتى بها كلِها، ولا يكملُ بر الحج بدون الوفاء بالعهود في المعاقدات والمشاركات المحتاج إليها في سفر الحج، وإيتاءِ المال المحبوب لمن يحب اللهُ إيتاءه، ويحتاجُ مع ذلك إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق في السفر، فهذه خصال البر، فمن حج من غير إقام الصلاة، لاسيما إن كان حجه تطوعاً كان بمنزلة من سعى في ربح درهمٍ وضيع رأس ماله، وهو ألوف كثيرة »[1].

وقد كان السلف -رحمهم الله- يواظبون على فعلِ الطاعات ونوافلِ القربات في حجهم، ويستثمرون ساعاتِه ويعمرون أيامَه بالأعمال الصالحة، كانوا حريصين على قيام الليل، وتلاوة القرآن وأنواع الذكر، على العكس من حال بعض الحجاج الآن - هدانا الله وإياهم- الذين شغلوا أنفسهم بالقيل والقال والخوضِ في أعراض الناس والمجادلةِ بالباطل، مع كثرة اللهو واللعب والمزاح، وقد يتعدى الأمر بهم إلى السب والشتم وفعلِ ما لا يليق بالمسلم، خصوصاً في تلك المشاعر المقدسة وفي أجل القربات وأفضلِ الطاعات الحج.

كان مسروقٌ -رحمه الله- يكثر من السجود والإطالة فيه، لعلمه أن أقربَ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، كما ثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان محمد بنُ واسع يكثر من نوافل الصلوات، وإذا ركب راحلته أومأ إيماء، ويأمر حاديَه أن يرفع صوتَه خلفه حتى يشغل عنه الناس

---

(١) لطائف المعارف ٤١٤- ٤١٥.

بسماع صوته فلا يُتفطنُ له، وكان المغيرة بنُ الحكم الصنعاني يحج من اليمن ماشياً وكان له ورد من الليل يقرأ فيه كل ليلة ثلثَ القرآن [(١)] .

ومن معاني بر الحج كثرةُ ذكر الله تعالى فيه، وقد أمر الله تعالى بكثرة ذكره في إقامة مناسك الحج مرة بعد أخرى، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٢)] الآية.

فانظر -أخي الحاج- كيف أمر الله بذكره واستغفارِه ودعائه في هذه المواضع، ونبه على ذلك حثاً لحجاج بيته الحرام أن يستغلوا تلك الأزمانَ الشريفة والأماكن الفاضلة بما هي أهله من الطاعات والقربات، وأعظمُها ذكره جل وعلا واستغفاره، عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة، ورميُ**

(١) ينظر لهذه الآثار: لطائف المعارف ٤١٥ .

(٢) سورة البقرة، الآيات ١٩٨-٢٠٣ .

الجمار لإقامة ذكر الله تعالى » رواه أبوداود ولفظه عند الترمذي وصححه[١] «إنما جعل رمي الجمار والسعيُ بين الصفا والمروةِ لإقامة ذكر الله تعالى » ورواه غيرهما، قال بعض أهل العلم: إنما كان ختامُ الأعمال الصالحة ومنها الحج بالذكر والاستغفار لأن العبد محل تقصيرٍ في أداء تلك الطاعة، يعتوره النقصُ والخللُ وعدمُ أداءِ ما وجب عليه حق القيام .

ومن الذكر في الحج التلبيةُ فيه ورفع الصوت به والدعاءُ معه، كما هو فعل الصحابة رضي الله عنهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استوت به راحلته قائمةً عند مسجد ذي الحليفة أهل -أي رفع صوته- فقال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك »، وكان عبدالله يزيد مع هذا: «لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل » متفق عليه[٢]. وعن جابر رضي الله عنه قال: « أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر التلبيةَ مثلَ حديثِ ابنِ عمر، والناس يزيدون "ذا المعارج"[٣] ونحوه من الكلام، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع، فلا يقول لهم شيئاً»[٤]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله

(١) رواه الترمذي -كتاب الحج- باب ماجاء كيف تُرمي الجمار- ٣/ ٢٤٦ رقم ٩٠٢، وأبوداود -كتاب المناسك- باب في الرمل ٢/ ١٧٩ رقم ١٨٨٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب التلبية ٣/ ٤٠٨ برقم ١٥٤٩، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب التلبية وصفتها ووقتها ٨/ ٨٨ .

(٣) رواه أبوداود في سننه -كتاب الحج- باب كيف التلبية ٢/ ١٦٢ برقم ١٨١٣.

(٤) قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٢٣ "رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً، ولم يسم شيخه في المرفوع".

صلى الله عليه وسلم، **ونحن نصرخُ بالحج صراخاً** »[١] الحديث، أي: نرفع أصواتنا بالتلبية، وما ذاك إلا لأن التلبيةَ من شعار الحاج في الظاهر، وفيها اشتغالٌ بذكر الله المتضمن كلمةَ التوحيد وتحقيقَها ونفي الشرك ومخالفةَ المشركين.

ومن معاني الحج المبرور الإحسانُ إلى الناس ومعاملتُهم بالمعروف وحسنُ الخلق معهم، ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن البر فقال: «**حسنُ الخلق** »[٢]، وهذا الأمر يحتاج إليه الحاج كثيراً، فينبغي له أن يتحلى به ويجاهد نفسَه في تحقيقِه، فيعامل الناسَ بالمعروف ويحسنُ إليهم بالقول والفعل، وما سمي السفر سفراً إلا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال.

ويتبع ذلك إطعامُ الطعام وإفشاءُ السلام، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**، قالوا: وما بر الحج يا رسول الله؟ قال: **إطعام الطعام وإفشاء السلام**»، وفي لفظ آخر «**وطيبُ الكلام** » حديث حسن رواه أحمد والطبراني في الأوسط[٣]، ومن أجمع خصال البر التي يحتاج إليها الحاج وصيةُ النبي صلى الله عليه وسلم أباجُري الهُجيمي بقوله: « **لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغَ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تعطي صلةَ الحبلِ، ولو أن تُعطي شِسْع النَعْلِ، ولو أن تنحي الشيءَ من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن**

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب جواز التمتع في الحج والقران ٨/ ٢٣٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه -كتاب البر والصلة والآداب- باب تفسير البر والاثم ١٦/ ١١١ من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

**تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق، ولو أن تَلقى أخاك المسلم فتسلمَ عليه، ولو أن تؤنس الوَحْشان في الأرض** » حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[١].

وأقوالُ الصحابةِ ومن بعدهم في بر الحج ومروءة السفر وحقوقِه كثيره، منها قولُ ابن عمرِ رضي الله عنهما: « البر شيء هين، وجهٌ طليق وكلام لين »، وسئل سعيد بن جبير: أي الحاج أفضل؟ قال: « من أطعم الطعامَ وكف لسانه»، وقال ربيعة: « المروءة في السفر: بذلُ الزاد، وقلةُ الخلاف على الأصحاب، ..... »، وقال أبو جعفر الباقر: « ما يُعبأُ بمن يؤم هذا البيتَ إذا لم يأت بثلاثة: ورعٍ يحجزه عن معاصي الله، وحلمٍ يكف به غضبه، وحسنِ صحابة لمن يصحبه من المسلمين »، وجاء رجلان إلى ابن عون يودعانه ويسألانه أن يوصيَهما، فقال لهما: «عليكما بكظمِ الغيظ وبذل الزاد »، وروى عبد الرزاق عن الثوري قال: «سمعنا أن بر الحج طيبُ الطعام وطيبُ الكلام»[٢].

وفي حج السلف من الصحابة والتابعين -رحمهم الله تعالى- تحقيقٌ لهذه المعاني، قال مجاهد: « صحبت ابنَ عمرَ في السفر لأخدمه، فكان يخدمني »، وكان إبراهيم بنُ أدهمَ يشترط على أصحابه في السفر الخدمةَ والأذان، وخدمتُهم لأصحابهم لم تكن لعدم انشغالهم بأمور أخرى، بل

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٦٣-٦٤، وأبو داود في سننه -كتاب اللباس- باب ماجاء في إسبال الإزار رقم ٤٠٨٤ ، ٤/ ٥٦ .

(٢) ينظر لهذه الآثار: لطائف المعارف ٤١١، ٤١٢ .

كانوا في خدمة أصحابهم مع اشتغالهم بطاعة الله، وروي عن كثيرٍ من السلف أنه كان يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم، اغتناماً للأجر، منهم عامر بنُ عبدِ قيس وعمرُو بنُ عتبةَ بنِ فرقد، مع اجتهادهما في العبادة في أنفسهما، وروي عن بعضهم أن كان يصحب إخوانَه في سفر الجهاد وغيرِه، فيشترط عليهم أن يخدمهم، « فكان إذا رأى رجلاً يريد أن يغسل ثوبَه قال له: هذا من شرطي فيغسُله، وإذا رأى من يريد أن يغسل رأسه قال:هذا من شرطي فيغسُله »[1].

إن المسلم في أوقات العبادة والحضورِ في الرحاب الطاهرة، يلتزم بأكملِ الآداب، ويتحلى بشريفِ الخصال، فكيف بالحضور في بيت الله المحرم والمشاعر المقدسة، فمما يكمل برَ الحج اجتنابُ الإثمِ والمعاصي فيه، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[2]. وفي الحديث الصحيح «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه، واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال أهل العلم: « الرفث الجماعُ ودواعيه، والفسوق المعاصي، والجدال المخاصمةُ بالباطل »[3]، فنهى سبحانه عن هذا كلِه، وأمر حجاج

---

(١) ينظر لهذه الآثار: لطائف المعارف ٤١٢، ٤١٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٤٣-٥٤٧.

بيتِه وهم في رحابه أن يتزودوا بزاد التقوى، فهو خير الزاد، فيتحرى الحاجُ كلَ بر، ويتباعدُ عن كل منكر وإثم، فما تزود حاج ولا غيرُه بأفضلَ من زاد التقوى، ولا وصيةَ أجملَ من الوصية بالتقوى وتحقيقِها، وهكذا كان السلف يوصي بعضهم بعضاً، قال بعضهم لمن ودعه: « **اتق الله، فمن اتقى اللهَ فلا وحشة عليه** »[١]، وقال آخر لمن ودعه للحج: أوصيك بما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً حين ودعه «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن** »[٢].

إن تقوى الله عز وجل جُنةٌ يستجنُ بها العبد من المعاصي والذنوب، وزادٌ مباركٌ يبلغه رضوانَ الله وجنتَه، يقول علي رضي الله عنه: « التقوى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة من الدنيا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل »، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: « تقوى الله: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر »[٣]، وقال الحسن البصري -رحمه الله-: « التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك » .

ومن بر الحج سقيُ الماء وبذلُه للآخرين، فالحجاجُ في تلك المشاعر، وبخاصة في وقت الزحام الشديد، بأمسِ الحاجة إلى الماء يُرْوُونَ به عطشَهم، ويستعينون به على قضاء نسكهم، تبذل ذلك -أيها الحاج-

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم ١/ ١٦١.

(٢) رواه الترمذي -كتاب البر والصلة- باب ماجاء في معاشرة الناس ٤/ ٣١٣ رقم ١٩٨٧.

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٧/ ٦٥.

لإخوانك بنفسٍ طيبة، ويدٍ حانية، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل أيُ الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أفضل الصدقة سقيُ الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا:** ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾[1][2].



(١) سورة الأعراف، الآية ٥٠ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٦٦ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عنه رضي الله عنه ، والحديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٢٥٠ برقم ١١١٣ .

المبحث الخامس

## فضل يوم عرفة وأحوالهم فيه

إن من الأيام الفاضلة عند الله عز وجل يومَ عرفةَ، فهو يومُ أهلِ الموقف، حيث يقف الحجاج فيه على صعيد عرفات، يقول عليه الصلاة والسلام: « **الحج عرفة** »[1]، وفضائل هذا اليوم العظيم كثيرة: منها أنه يومُ إكمال الدين وإتمامِ النعمة على هذه الأمة فلا يحتاجون إلى دينٍ غيرِه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأديان وأفضلَها، لا يُقبل من أحد دينٌ سواه، في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رجلاً من اليهود قال له: «يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال:أيُ آية ؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يومَ جمعة »[3].

ومن فضائل يوم عرفة أنه يومُ عيدٍ لأهل الإسلام، قال ابن عباس

---

(١) رواه أبوداود في سننه -كتاب المناسك- باب من لم يدرك عرفه ٢/ ١٩٦ برقم ١٩٤٩، والنسائي في سننه -كتاب المناسك- باب فرض الوقوف بعرفة ٥/ ٢٥٦، والترمذي في سننه -كتاب الحج- باب ماجاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ٣/ ٢٢٨ برقم ٨٨٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الإيمان- باب زيادة الإيمان ونقصانه ١/ ١٠٥ رقم ٤٥، ومسلم في صحيحه في أول كتاب التفسير ١٨/ ١٥٣.

رضي الله عنهما: « نزلت في يوم عيد، في يوم جمعة، ويوم عرفة »[١]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كلاهما بحمد الله لنا عيد »[٢]، وهو عيد لأهلِ الموقف خاصة، ويشرع صيامُه لغيرهم كما سيأتي .

ومن فضائله أنه يومُ مغفرةِ الذنوب والتجاوزِ عنها، والعتقِ من النار، والمباهاةِ بأهل الموقف، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من يوم أكثرُ من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول:ما أراد هؤلاء** »[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يباهي بأهل عرفات أهلَ السماء، فيقول لهم:انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً** »، رواه أحمد وسنده صحيح[٤]، وعن طلحة بن عبيدالله بن كريز -رحمه الله- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما رؤي الشيطان في يوم هو فيه أصغرَ ولا أدحرَ ولا أحقرَ ولا أغيظَ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوزِ الله عن الذنوب العظام، إلا ما رؤي يومَ بدر، فإنه قد رأى جبريل يزعَ الملائكة** »، رواه مالك في الموطأ مرسلاً[٥].

---

(١) رواه الترمذي -كتاب التفسير- باب ومن سورة المائدة ٥/ ٢٣٣ برقم٣٠٤٤ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٩/ ٥٢٤، ٥٢٥ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٢٢٤، والمنذري في الترغيب ٢/ ٢٠٤ وقال "رواه أحمد والطبراني في الكبيروالصغير، وإسناد أحمد لابأس به".

(٥) رواه مالك في الموطأ -كتاب الحج- باب جامع الحج ١/ ٤٢٢، مرسلاً .

ومن فضائل يوم عرفة ما قيل إنه الشفعُ الذي أقسم الله به في كتابه، وأن الوَتْر يومُ النحر، قال تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ ﴾ ، وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جابر فيمارواه الإمام أحمد وغيره [١]، وقيل إنه الشاهدُ الذي أقسم الله به في كتابه، قال تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾، ففي المسند وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفاً عليه: « **الشاهد يومُ عرفة، والمشهود يومُ الجمعة** »[٢].

فمن طمع في العتق من النار، ورجا مغفرةَ ذنوبه، وإقالةَ عثراته، والتجاوزَ عن سيئاته في يوم عرفة، فليحرص على الإتيان بالأسباب التي يرجى بها -بعد فضل الله ورحمته- العتق من النار، وأعظم الأسباب صيامُ ذاك اليوم لغير الحجاج، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده** »[٣]، أما الحجاج فالسنةُ في حقهم الفطرُ، كما هو هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم [٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ٣٢٧، وانظر: تفسير الطبري ٣٠/ ١٠٨-١١٠ .

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ٢٩٨، والترمذي -كتاب التفسير- باب ومن سورة البروج برقم ٣٣٣٩ ٥/ ٤٠٦، والطبراني في الكبير ٣/ ٢٩٨ .

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه -كتاب الصيام- باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ٦/ ٥٠-٥١ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الصوم- باب صوم يوم عرفة ٤/ ٢٣٧ برقم ١٩٨٨ و ١٩٨٩، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الصيام- باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة ٨/ ٢-٤ عن أم الفضل بنت الحارث" أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صيام =

ومن الأسباب أيضاً الإكثارُ من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق ودعاء الله بها، فإنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله في ذلك اليوم، والدعاء فيه له مزية على غيره، فقد روى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»(١).

ومن الأسباب أيضاً الصدقة والإنفاق في سبيل الله، ففي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**»(٢)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلةُ الرحم تزيد في العمر، وفعلُ المعروف يقي مصارع السوء**»(٣).

مع الحذر من الذنوب والإقلاع عنها، والتوبة الصادقة منها، وحفظ

---

= رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هو صائم، وقال بعضهم ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة فشربه"، ورووياه أيضاً عن ميمونة رضي الله عنها.

(١) رواه الترمذي -كتاب الدعوات- باب في دعاء يوم عرفه ٥٣٤ برقم٣٥٨٥، وقد كان هذا أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في يوم عرفه، كما روى ذلك الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١٠ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٥٢ وقال "رواه أحمد، ورجاله موثقون".

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الزكاة- باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ٣/ ٢٨٣ برقم ١٤١٧، ومسلم في صحيحه -كتاب الزكاة- باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٥/ ١٠١، ١٠٢ من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح روي من عدة طرق عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، ينظر: السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٣٥-٥٣٩ برقم ١٩٠٨.

جوارحه عن المحرمات، ففي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **يوم عرفة، هذا يومُ من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غُفر له** »[١].

وقد كان سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان -رحم الله الجميع- حريصين أشدَ الحرص على استغلال هذا اليوم العظيم -يوم عرفة- والإفادةِ منه، والمحرومُ من حرم فضلَ الله وجودَه، والشقيُ من تمر عليه هذه الأزمانُ الفاضلة، والأوقاتُ الشريفة دون استغلالٍ لها، أو إفادة منها. فكانت أقوالهم -رحمهم الله- حاثةً على شغل هذا اليوم بما هو جدير به من الأعمال الصالحة، وكانت أحوالُهم وأفعالهم تطبيقاً لذلك، روى ابن أبي الدنيا عن علي رضي الله عنه قال: « ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عتقاء من النار، وليس يوم أكثر فيه عتقاً للرقاب من يوم عرفة، فأكثر فيه أن تقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، وأوسع لي من الرزق الحلال، واصرف عني فسقة الجن والأنس »، وكان حكيم بن حزام رضي الله عنه يقف بعرفة ومعه مائة بدنة مقلدة، ومائة رقبة -أي من العبيد الأرقاء- فيعتق رقيقه، فيضج الناس بالبكاء والدعاء، ويقولون:ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيدَه، ونحن عبيدك فأعتقنا من النار . وقال ابن المبارك: «جئت إلى سفيان الثوري عشيةَ عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان، فقلتُ له: مَنْ اسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم»،

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٢٩، وذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٥١ وقال "رواه أحمد وأبويعلى والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات"، وانظر: معجم الطبراني الكبير ١٨/ ٢٨٩ .

وروي عن الفضيل بن عياض أنه نظر إلى الناس وتسبيحِهم وبكائِهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقاً -يعني سدسَ درهم- أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: والله للمغفرةُ عند الله أهونُ من إجابة رجل لهم بدانق، يقول الشاعر:

**وإني لأدعو الله أطلب عفوَه وأعلم أن الله يعفو ويرحم**

**لئن أعظمَ الناسُ الذنوبَ فإنها وإن عظمت في رحمة الله تصغر**[1]

وكان يوصي بعضهم بعضًا الانشغال بالعبادة والتفرغ للدعاء وعدم إكثار الخلطة مع الناس، يقول عمر بن الورد «قال لي عطاء -بن أبي رباح- إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل»[2].



(١) ينظر لهذه الآثار: لطائف المعارف ٤٩٤، ٤٩٦-٤٩٨.

(٢) ينظر: حلية الأولياء: ٣/ ٣١٤، ٥/ ١٩٧.

المبحث السادس

## فضل يوم العيد وأيام التشريق وأقوالهم فيها

جعل الله عز وجل لهذه الأمة عيدين يأتيان في كل عام مرة .

**الأول**: عيدُ الفطر بعد صوم رمضان، حين يستكمل المسلمون صيامَه، فيجتمعون في هذا العيد، يشكرون اللهَ ويكبرونه على ما هداهم، وهو يوم الجوائز، يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم، ويرجعون من عيدهم بالمغفرة والعتق من النار، بفضل الله ورحمته .

**الثاني**: عيدُ الأضحى يومَ النحر، وهو أكبر العيدين وأفضلُهما لحديث عبدالله بن قُرْط رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( **إن أعظمَ الأيام عند الله تعالى يومُ النحر ثم يوم القر** )) رواه أحمد وغيره[1]، وهومترتب على إكمال الحج ،وشُرع فيه للجميع -الحجاجِ وغيرِهم- التقربُ إلى الله فيه بالنسك، وهو إراقة دماء القرابين مع الصلاة والذكر والدعاء .

لقد أبدل الله هذه الأمة بما كان عند الجاهلية يومي الفطر والأضحى، للذكر والشكر والمغفرة، والفرحِ بإتمام الطاعة وإكمالِها، الصيام والحج، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، كان لهم يومان يلعبون فيهما، فقال:

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٥٠ ،والحاكم في المستدرك٤/ ٢٢١ وصححه ووافقه الذهبي، وهو في صحيح الجامع برقم ١٠٦٤.

«**إن الله أبدلكم يومين خيراً منهما، يومَ الفطرِ والأضحى**»[1].

إن العيدَ موسمُ الفرح والسرور، وأفراحُ المؤمنين الخلّص وسرورُهم في الدنيا، إنما هو برضا مولاهم عنهم، إذا فازوا بإكمالِ طاعته، وحازوا ثوابَ أعمالهم، ونالوا فضلَه ومغفرته، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[2]، هكذا فهم السلف الصالحُ -رحمهم الله- معنى العيد، يقول الحسنُ البصري: «كلُ يوم لا يُعصى اللهُ فيه فهو عيد، كلُ يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكرِه وشكرِه فهو له عيد»، وقال بعضهم: «ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافلُ يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بطاعةِ مولاه»[3]. ثم يأتي بعد يوم العيد أيام التشريق، روى مسلم في صحيحه عن نُبيشة الهذلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أيامُ منى أيامُ أكلٍ وشربٍ وذكرٍ لله**»[4]، وهذه الأيام هي الأيام المعدودات التي قال الله عز وجل فيها: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[5]، وهي ثلاثةُ أيام بعد يوم النحر، وأفضلُها: أولُها وهو يوم القر، لأن الحجاج في منى يستقرون فيه ولا ينفِرُون، ففي حديث عبدالله بن قرط السابق «**إن أعظمَ الأيام عند الله يومُ**

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٠٣و١٧٨و٢٣٥و٢٥٠ ،والنسائي في سننه -كتاب صلاة العيدين٣/ ١٧٩ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة يونس ، الآية ٥٨ .

(٣) ينظر لهما: لطائف المعارف ٤٨٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي -كتاب الصيام- باب تحريم صوم أيام التشريق ٨/ ١٧ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٠٣ .

النحر ثم يومُ القر» .

وذكـرُ الله عـز وجـل المـأمورُ بـه في أيـام التـشريق أنـواع متعـددة، منها: ذكرُه عز وجل عقبِ الصلوات المكتوبات، بالتكبيرِ في أدبارها، وهـو مشروع إلى آخر أيام التشريق، وهو التكبير المقيد، مـروي عـن عمـرَ وعـليٍ وابنِ عباس رضي الله عنهم، ومنها: ذكرُه جل وعلا بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك، فإن وقت ذبح الهدي والأضاحي يمتد إلى آخر أيام التـشريق، ومنها: ذكرُه بـالتكبير عنـد رمـي الجـمار في أيـام التـشريق، وهـذا خـاص بالحجاج، إلى غير ذلك .

ومما ينبغي في هذه الأيام، وبخاصة في آخرها، الاستغفارُ والدعاء، وقد استحب كثيرٌ من السلف -رحمهم الله- الدعاءَ بقوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1]، وقد قال تعالى قبل ذلك: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[2]، قال عطاء: « ينبغي لكل من نفر أن يقول حين ينفر متوجهاً إلى أهله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾»، وقال عكرمة: « كان يستحب أن يقال في أيام التشريق ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾»، وهذا الدعاءُ من أجمع الأدعية لخيري الدنيا والآخرة، لذا فقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر منه، وكان إذا دعا بدعاء جعله معه، قال الحسن: « الحسنةُ في الدنيا العلمُ والعبادة،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠١ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٠ .

وفي الآخرة الجنة »، وقال سفيان: « الحسنةُ في الدنيا العلمُ والرزقُ الطيب، وفي الآخرة الجنةُ »، وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول في خطبته يوم النحر: « بعد يوم النحر ثلاثةُ أيام، التي ذَكَرَ الله الأيامَ المعدودات لا يُرد فيهن الدعاء، فارفعوا رغبتكم إلى الله عز وجل »(١).

وقد ذكر بعضُ أهل العلم، أن من الحكمة في ختام الطاعات بالذكر والاستغفار، أن العبدَ لا يؤدي ما فُرض عليه على التمام، وعملُه يعتوره النقصُ والخلل، فشرع له الاستغفارُ مكفراً لما قد حصل منه من تقصير وخلل، لعل الله أن يقبله منه ويرضى به عنه، ومن الحكمة أن سائر العبادات تنقضي ويُفْرَغُ منها، وذكرُ الله باق لا يُفْرَغُ منه، وقد أمر الله بذكره عند انقضاء الصلاة، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(٢)، وقال في صلاة الجمعة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾(٤)، قال الحسن: «أمره إذا فرغ من غزوه أن يجتهد في الدعاء والعبادة، فالأعمالُ كلُها يُفْرَغُ منها، والذكر لا فراغ له ولا انقضاء». وقال بعض الصالحين: «ما طابت الدنيا إلا بذكره عز وجل، ولا الآخرةُ إلا بعفوه، ولا الجنةُ إلا برؤيته»، قال بعض أهل العلم: « أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيمُ أبدانهم بالأكل

---

(١) ينظر لهذه الآثار وغيرها تفسير الطبري ٤/ ٢٠٣-٢٠٦، لطائف المعارف ٥٠٣.

(٢) سورة النساء الآية ١٠٣ .

(٣) سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

(٤) سورة الشرح ، الآيتان ٧ ، ٨ .

والشرب، ونعيمُ قلوبِهم بالذكر والشكر، وبذلك تتم النعم»[١].

وذكر بعض شراح الحديث أن في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنها أيامُ أكلٍ وشربٍ وذكرٍ لله عز وجل**»، إشارةً إلى أن الأكلَ والشرب في أيام العيد والتشريق، إنما يُستعانُ به على ذكر الله وطاعته، وذلك من تمام شكرِ النعمة أن يُستعانَ بها على الطاعات، وقد أمر الله تعالى بالأكل من الطيبات والشكرِ له، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٢]، فمن استعان بنعم الله على معاصيه، فقد كفر نعمة الله وبدلها كفراً، وقد يُسلبُها[٣]، نعوذ بالله من الخذلان.

كان عمرُ بن عبد العزيز -رحمه الله- كلما قلب بصره في نعم الله عليه قال: «اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفراً، وأن أكفرَها بعد أن عرفتُها، وأن أنساها ولا أثني بها»[٤]، ويقول ابن القيم رحمه الله: «الشكر مبني على خمس قواعد: خضوعُ الشاكر للمشكور -سبحانه- وحبُه له، واعترافُه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره»[٥].



(١) ينظر لهذه الآثار: لطائف المعارف ٥٠٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٢ .

(٣) ينظر : لطائف المعارف ٥٠٤ .

(٤) ينظر: عدة الصابرين ١/ ١٠١.

(٥) ينظر : مدارج السالكين ٢/ ٢٤٤ .

## المبحث السابع

## عنايتهم بمعرفة السنة وتأدبهم في تعلمها

لقد أكرم الله هذه الأمة حين أرسل إليها أفضل رسله محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة والسلام، أخرجهم به من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، واختار لصحبته صحابته الأخيار، رضي الله عنهم وأرضاهم، الذين تمسكوا بهذا الدين، وعضوا عليه بالنواجذ، واعتصموا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وبذلوا الغالي والنفيس من أجل هذا الدين ونشره بين العالمين، دون كلل ولا ملل، ولا خور ولا ضعف، مستنين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، مقتفين أثره، سائرين على منهجه في صغير الأمور وكبيرها، وصدق ربنا تعالى القائل: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

كيف لا يكون هذا الجيل كذلك، والله عز وجل قد اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، أفضل البشر وخير من وطئت قدمه الأرض، روى أبوداود الطيالسي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد، فاختار محمداً صلى الله عليه وسلم، فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعده، فاختار له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه..»[2]، وفي فضلهم يقول النبي صلى الله

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣ .

(٢) رواه أبوداود الطيالسي في مسنده ١/ ٣٣، وأحمد في مسنده ١/ ٣٧٩ .

عليه وسلم: « **لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » رواه البخاري ومسلم(١)، وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « من كان متأسياً، فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم »(٢).

وقد حج النبي صلى الله عليه وسلم في عمره مرة واحدة، وحج معه أصحابه الذين نقلوا لنا صفة حجه عليه الصلاة والسلام، وعلموها الناس، وثبتوا على سنته بعد مماته، يحرصون على معرفة السنة ويحذرون من الخلاف والجدل العقيم، يعلمون الجاهل ويذكرون الغافل، إذا جهل أحدهم أمراً سأل عنه، وإذا سُئلَ أحدهم عن شيء يعلمه أفتى به، فإن لم يكن عنده في هذه المسألة علم أحال السائل إلى غيره، مع أمرهم الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر بحكمة وأسلوب حسن، فكان لهم في ذلك مواقف محمودة، وأحوال مَرْضية، ومن ذلك:

**المثال الأول:** ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن حنين أن عبد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل الصحابة- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً » ٧/ ٢١ برقم ٣٦٧٣، ومسلم في صحيحه -كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب تحريم سب الصحابة ١٦/ ٩٣ كلاهما عن أبي سعيد الخدري، واللفظ للبخاري.

(٢) المسند ٥/ ٢١١ رقم ٣٦٠٠ ط -المعارف، وانظر: مجمع الزوائد ١/ ١٧٧ - ١٧٨.

الله بن عباس والمسورَ بن مخرمة رضي الله عنهما اختلفا بالأبواء -وهو مكان بين مكة والمدينة- فقال عبدالله بن عباس: يغسل المحرم رأسه، وقال المسور لا يغسل المحرم رأسه، فأرسلني -القائل هو عبدالله بن حنين- ابن عباس إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أسأله عن ذلك، فوجدته يغتسل بين القرنين وهو يستتر بثوب، قال فسلمت عليه فقال: من هذا؟ فقلت: أنا عبدالله بن حنين، أرسلني إليك عبدالله بن عباس أسألك كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه وهو محرم، فوضع أبو أيوب رضي الله عنه يده على الثوب فطأطأه حتى بدا لي رأسه، ثم قال لإنسان يصب اصبب، فصب على رأسه ثم حرك رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، ثم قال: هكذا رأيته صلى الله عليه وسلم يفعل ». وفي رواية أخرى قال: « فأمرَّ أبوأيوب بيديه على رأسه جميعاً على جميع رأسه، فأقبل بهما وأدبر، فقال المسور لابن عباس: لا أماريك أبداً »[١].

اشتمل هذا الموقف على بعض الدروس والفوائد أهمها:

١ - أنه يجوز للمحرم أن يغسل رأسه وجسده، فإن كان من جنابة وجب عليه ذلك، أما غسله تبرداً فجائز بلا كراهة، ويجوز له إمرار يده على شعره، لكن لا يتعمد نتف شعر رأسه، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «**أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى، حتى يصبح ويغتسل، ويذكر ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم** » متفق عليه[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب جواز غسل المحرم بدنه ورأسه ٨/ ١٢٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الاغتسال عند دخول مكة ٣/ ٤٣٥ برقم ١٥٧٣، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة ٩/ ٥ .

٢- حسن أدب الصحابة وقطعُهم دابر الخلاف، وحسمُ مادته بسؤال أهل العلم، فإن ابن عباس والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما، لم يطل خلافهما في هذه المسألة ولم تظهر له آثار سيئة، بل وكلا العلم إلى عالمه، وأرسلا من يسأل لهما في هذه المسألة، وهكذا ينبغي للمسلم عموماً أن يسأل عما يشكل عليه في دينه، وهو مطالب بهذا، فإن شرطي قبول العمل الإخلاص والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما روته عائشة رضي الله عنها: (( **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** ))[1]، أي مردود عليه، وقد أمر الله بسؤال أهل العلم في قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]. وقال الشاعر:

**شفاء العمى طول السؤال وإنما دوام العمى طول السكوت على الجهل**

كما أنه ينبغي للمسلم أن لا يستحي من السؤال، ولا يستكبر عن طلب الحق والعمل به، فمع عظيم منزلة هذين الصحابيين إلا أنهما أرسلا من يسأل لهما في هذه المسألة، روى البخاري عن مجاهد قوله «لا يطلب العلم مستحٍ ولا مستكبر»[3].

٣- ينبغي لمن استبان له الحق أن يعمل به، فلا اجتهاد ولا قياس مع وجود النص، وهكذا كان عمل الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك هذا الموقف، فإن المسور بن مخرمة قبل سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ووافق

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٣) صحيح البخاري – كتاب العلم – باب الحياء في العلم ١/ ٢٢٨.

ابن عباس، بل عاهد نفسه ألا يناقش ابن عباس أو يستوقفه في مسألة، إقراراً منه له بوفور العلم وجلالة القدر، ولم يستكبر عن الرجوع إلى الحق وترك ما هو عليه، بل استجابة تامة وطواعية كاملة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- مع أن الحق كان مع ابن عباس في هذه المسألة، فإن المسور بن مخرمة لم يكن في صدره شيء على ابن عباس، ولم ينقل إلينا وجود شحناء أو كراهية أو حقد بينهما للخلاف في هذه المسألة، بل محبة وتراحم وترابط، وهكذا ينبغي للمسلم إذا خولف في رأي وكان الحق في غير قوله، أن يقبل الحق ولا يوغر صدره حقداً ولا حسداً على أخيه، أو تتعدى الأمور إلى أعظم من هذا انتصاراً لنفسه، ولو على حساب الحق.

٥- من فوائد هذه القصة، جواز السلام على المتطهر في وضوء أو غسل، وجواز الاستعانة بمن يعين المتوضئ أو المغتسل، وقبول خبر الواحد، وأن ذلك كان مشهوراً عند الصحابة رضي الله عنهم (١).

المثال الثاني: من مجالس الصحابة رضي الله عنهم العامرة بذكر الله عز وجل، والمذاكرة في العلم، والمناقشة في مسائله، والسؤال عما يشكل، معرفة للسنة وحرصاً على تطبيقها، ما رواه عروة بن الزبير قال: «كنت أنا وابن عمر مستندَين إلى حجرة عائشة، وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن، قال فقلت: يا أباعبدالرحمن، أَعْتَمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال:نعم، فقلت لعائشة:أي أمتاه، ألا تسمعين ما يقول أبوعبدالرحمن؟

---

(١) ينظر: شرح النووي ٨/ ١٢٦.

قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب، فقالت: يغفر الله لأبي عبدالرحمن، لعمري ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لمعه، قال: وابن عمر يسمع، فما قال لا، ولا نعم، سكت»[١].

**في هذه القصة وقفات:**

**الوقفة الأولى:** حرص الصحابة والتابعين على طلب العلم وسؤال العلماء عما يشكل، وهذا هو الواجب على المسلم، أن يسأل أهل العلم عن دينه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]، وفي قصة الرجل الذي أصابته جنابة في برد شديد وهو مثخن بالجراح، فأفتاه من معه بالغسل، مع أن له التيمم والحالة هذه، فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « **قتلوه قتلهم الله، ألم يكن شفاء العي السؤال** »[٣]، وروى الإمام البخاري في صحيحه عن الإمام المفسر مجاهد بن جبر أنه قال: «لا يطلب العلم مستح ولا مستكبر»، وتقول عائشة: « نعم النساء نساء

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب العمرة- باب كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ٣/ ٥٩٩ برقم ١٧٧٥،١٧٧٦، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب بيان عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم وزمانهن ٨/ ٢٣٦، ٢٣٧ واللفظ له.

(٢) سورة النحل، من الآية ٤٣.

(٣) رواه عدد من الأئمة منهم الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٣٠، وأبوداود في سننه -كتاب الطهارة- باب في المجروح يتيمم ١/ ٩٣ برقم ٣٣٦،٣٣٧، وابن ماجه في سننه -أبواب التيمم- باب في المجروح تصيبه جنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل ١/ ٩٣ برقم ٤٦٤، وصححه الألباني، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين »[١]، كل هذا أخذاً من سؤال عروة بن الزبير بن العوام -رحمه الله- وهو التابعي المشهور، أحد المكثرين من رواية الحديث، وبخاصة عن خالته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، حيث سأل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، ثم سأل عائشة عن عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم.

**الوقفة الثانية**: في قول عروة بن الزبير لعبدالله بن عمر: «يا أباعبدالرحمن»، وقوله لعائشة «أي أمتاه»، أدب جم، وحسن مخاطبة، وطيب كلام مع من يسأله، فإن من الأدب مناداة الشخص بكنيته لا باسمه، أو بما يحبه ويليق به، وهذا من آداب طالب العلم، وقد أكد على أدب الطلب كثيرٌ ممن كتب في هذا الموضوع، حيث ذكروا أن تحلي طالب العلم بالأدب وحسن الخلق، أكبر معين - بعد الله عز وجل- على استفادته من شيخه، ثم العمل بهذا العلم[٢].

**الوقفة الثالثة**: في قول عائشة رضي الله عنها: « يغفر الله لأبي عبدالرحمن، لعمري ما اعتمر في رجب »، حسن خطابها مع من خالفها، وإن كان هو المخطئ وهي المصيبة، ومع ذلك لم تعنفه ولم تتهمه بالقصور، أو الجهل أو نحو ذلك، بل دعت له بالمغفرة لما وقع فيه من خطأ واضح، ثم بينت الصواب، وكون ابن عمر ما قال لا أو نعم، بل سكت، قال العلماء: هذا يدل على أنه اشتبه عليه، أو نسي، أو شك، ولهذا سكت رضي الله عنه لما

---

(١) ذكرهما البخاري في صحيحه -كتاب العلم- باب الحياء في العلم ١/ ٢٢٨ .

(٢) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ١٥٥- ٢٠٢، تذكرة السامع والمتكلم ١٠١، حلية طالب العلم ٤٩ .

بينت عائشة الصواب في ذلك، ولم يراجعها بالكلام، لأن في ذلك جدلاً عقيماً، وشقاقاً ومنازعة لا فائدة منها[١]، وهكذا يجب على المسلم أن يقبل الحق ويترك ما كان عليه من خطأ، فالحكمة ضالة المؤمن، متى وجدها فهو أحق بها، ولا يجادل بالباطل، أو يماري بغير حق .

**الوقفة الرابعة:** ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: « اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر كلُهن في ذي القعدة، إلا التي مع حجته، عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من جعرانة، حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته »[٢]، فقد اعتمر صلى الله عليه وسلم أربع مرات :

**الأولى:** في ذي القعدة عام الحديبية سنة ست من الهجرة، فصدتهم قريش عنها، فتحللوا وحسبت لهم عمرة.

**الثانية:** في ذي القعدة سنة سبع، وهي عمرة القضاء.

**الثالثة:** في ذي القعدة سنة ثمان، وهي عام الفتح، حين قسم غنائم حنين .

**الرابعة:** وكانت مع حجته، وقد أحرم بها في ذي القعدة وأداها في ذي الحجة، ولم يعتمر عليه الصلاة والسلام عمرة قط في رجب .

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٢٣٥، فتح الباري ٣/ ٦٠٢ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب العمرة- باب كم اعتمر النبي صلىالله عليه وسلم ٣/ ٦٠٠ برقم ١٧٧٨-١٧٨٠، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب بيان عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم وزمانهن ٨/ ٢٣٤-٢٣٥ واللفظ له .

**الوقفة الخامسة**: قال العلماء: إنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم هذه العُمر في ذي القعدة لمخالفة أهل الجاهلية في ذلك، فإنهم كانوا يرون العمرة في ذي القعدة من أفجر الفجور، بهتاناً وزوراً، ففعله صلى الله عليه وسلم أربع مرات ليكون أبلغ في بيان جوازه، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه من عادات وموروثات ماأنزل الله بها من سلطان [1].

وبعدُ، فهذه صورة حيةً من مجالس الصحابة التي كانت عامرة بالعلم والحرص على اتباع السنة، واقتفاء الأثر، والالتزام بالدليل مع حسن الأدب، وكريم العشرة، ونبل الخصال، وكريم الأخلاق، لا تعرف الخصومات والمنازعات إلى مجالسهم طريقاً، وليس للجدل العقيم والنفرة عن قبول الحق والتنكب عنه إلى اجتماعاتهم سبيلاً، وهكذا كان السلف من بعدهم، كان الحسن البصري -رحمه الله- إذا سمع قوماً يتجادلون يقول: «هؤلاء ملّوا العبادة، وخف عليهم القول، وقلَّ ورعهم فتكلموا» [2]، وهم بذلك يقتدون بأفضل الخلق ومعلم البشرية صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه، فقال رجل: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، قال: « **اذبح ولا حرج**، فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، قال: **ارم ولا حرج**، فما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: **افعل ولا حرج** »، كرره البخاري في مواضع، ففي كتاب العلم

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) ينظر: الزهد لابن أبي عاصم ١/ ٢٧٢، حلية الأولياء ٢/ ١٥٧.

بوَّب عليه قائلاً « باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها »[١]، وقال: «باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار»[٢]، وفي كتاب الحج قال: «باب الفتيا على الدابة عند الجمرة»[٣] [٤] وغير ذلك، وهكذا ينبغي للحاج أن يعلم الناس مناسك الحج، ويرشدهم إلى السنة، ويحثهم على التمسك بها، وينبههم إلى ما يقع منهم من أخطاء ومخالفات لحج النبي صلى الله عليه وسلم، يحث الحجاج على استغلال تلك الأوقات الشريفة، والأزمان الفاضلة، والبقاع الطاهرة، والمشاعر المقدسة بالذكر والتلبية، والصدقة والإحسان، وبذل المعروف، وإسداء الخير بجميع أنواعه، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والصبر على ذلك، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

**المثال الثالث**: من صور تعليم الصحابة غيرهم ميراث النبوة، وحجة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان كلام الله عز وجل، إزالةً لما يرد من إشكال، وفهماً صحيحاً للآية، ما رواه البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير قال: «سألت عائشة رضي الله عنها فقلتُ لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ١/ ١٨٠ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ١/ ٢٢٢ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ٣/ ٥٦٩ .

(٤) رواه مسلم أيضاً في صحيحه -كتاب الحج- باب جواز تقديم الذبح على الرمي والحلق على الذبح وعلى الرمي وتقديم الطواف عليها كلها ٩/ ٥٤-٥٧ .

يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[١]، فوالله ما على أحد جناحٌ أن لا يطوَّف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلَّل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله الآية، قالت عائشة: وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحدٍ أن يترك الطواف بينهما»[٢].



(١) سورة البقرة، الآية ١٥٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب وجوب الصفا والمروة وجُعِلَ من شعائر الله ٣/ ٤٩٧ برقم ١٦٤٣ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لايصح الحج إلا به ٩/ ٢٢ .

## المبحث الثامن

## حرصهم على اتباع السنة وتطبيقها وتحذيرهم من الخلاف

كانت للصحابة رضي الله عنهم وسلفِ الأمة -رحم الله الجميع- عناية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، تطبيقاً وامتثالاً، إرشاداً وتعليماً، تبليغاً ودلالة إليها، وحثاً على التمسك بها، والتحذير من مخالفتها، ومن ذلك هديه عليه الصلاة والسلام، وسنته في الحج، وقد كان لهم معه في حجته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام، مواقف محمودة، ودروس نيرة، حرصاً على اتباع السنة، واقتفاء الأثر، وترك الخلاف والشقاق، والبعد عن المنازعات والخصومات، وهو السبيل الحق والمنهج الصدق، ولهذا أمثلة كثيرة، اشتملت على فوائد وأحكام هامة.

**المثال الأول:** ما رواه البخاري وغيره عن ابن شهاب عن سالم قال: «كتب عبدالملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج، فجاء ابن عمر رضي الله عنه وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس، فصاح عند سرادق الحجاج، فخرج وعليه ملحفة معصفرة، فقال: مالك يا أبا عبدالرحمن؟ فقال: الرواح إن كنت تريد السنة، فقال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأنظرني حتى أفيض على رأسي ثم أخرج، فنزل حتى خرج الحجاج، فسار بيني وبين أبي، فقلت -القائل هو سالم- إن كنت تريد السنة، فاقْصُر الخطبة وعجل الوقوف، فجعل ينظر إلى عبدالله، فلما رأى ذلك عبدالله، قال: صدق»[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب التهجير بالرواح يوم عرفة ٣/ ٥١١ برقم ١٦٦٠.

**اشتملت هذه الحادثة على الأحكام والفوائد التالية:**

**أولاً**: في أمر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان أميره الحجاج بن يوسف الثقفي أن يأخذ بقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في مناسك الحج وألا يخالفه، احترام العلماء من قبل العامة والخاصة، وتقديرهم وقبول قولهم في الأحكام، يقول الحافظ ابن حجر: « وأن الأمير يعمل في الدين بقول أهل العلم، ويصير إلى رأيهم »(١)، ثم إن الواجب على العلماء النصح والإرشاد، والصدق والإخلاص في ذلك قولاً وعملاً.

**ثانياً**: سنة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة، أنه حين صلى الفجر بمنى، غدا إلى عرفة، حتى نزل نمرة، وهي موضع بقرب عرفات بين طرف الحرم وطرف عرفات، حتى إذا كان صلاة الظهر وزالت الشمس، راح صلى الله عليه وسلم مهجراً -أي مبكراً- فخطب، ثم جمع بين الظهر والعصر، فصلاهما جمع تقديم، ثم راح فوقف إلى غروب الشمس، والسنة أيضاً كما قال سالم بن عبدالله وصدقه أبوه عبدالله بن عمر، أن يقصر الخطبة ويعجل الوقوف، استغلالاً للموقف بما هو جدير به من التضرع والدعاء، والذكر والابتهال إلى الله عز وجل.

**ثالثاً**: في قول عبدالله بن عمر وابنه سالم للحجاج: « إن كنت تريد السنة »، بيان لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وترغيب فيها وتشويق إليها، فإن المؤمن محب للرسول صلى الله عليه وسلم ولسنته، وبخاصة في تلك المشاعر المقدسة التي وفَد إليها تاركاً أهله وماله ووطنه، طالباً رضا ربه

---

(١) فتح الباري ٣/ ٥١٢.

ومغفرة ذنوبه وتكفير سيئاته، فالحاج والحالة هذه حريص غاية الحرص على الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل بها والعض عليها بالنواجذ .

**رابعاً:** في حديث سالم بن عبدالله بين يدي والده أمام الحجاج بن يوسف، جواز فتوى طالب العلم بين يدي شيخه أمام السلطان وعامة الناس، وفي صنيع سالم ابتداء العالم بالفتوى قبل أن يسأل عنها، ذكر هذا الحافظ ابن حجر، ثم إن الحجاج طلب علو الإسناد في العلم، حيث تشوف إلى سماع تصديق ما تحدث به سالم عن أبيه، فجعل ينظر إلى عبدالله، فلما رأى ذلك عبدالله قال:صدق [1] .

**خامساً:** جاء في رواية أخرى أن ابن شهاب قال لسالم بن عبدالله بن عمر: « أفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال سالم: وهل يتبعون بذلك إلا سنته »[2]، فيه حرص السلف على التثبت في الرواية والتأكد من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ذلك لهم من قبل شيوخهم، فالصحابة ومنهم عبدالله بن عمر كانوا من أشد الناس حرصاً على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثره وتعليمها للأمة وحثهم على العمل والأخذ بها .

**سادساً:** هذه الحادثة التي كانت بين عبدالله بن عمر وابنه سالم مع

---

(١) فتح الباري ٣/ ٥١٢ .

(٢) رواها البخاري في صحيحه -كتاب الحج -باب الجمع بين الصلاتين بعرفة- ٣/ ٥١٣ برقم ١٦٦٢ .

الحجاج بن يوسف الثقفي، الأمير من قبل الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، صورة واضحة على تطبيق الصحابة وسلف الأمة مبدأ السمع والطاعة لولاة الأمور، واحترامهم وتقديرهم، ونصحهم وإرشادهم بإخلاص وصدق وحسن تعليم وإرشاد، يظهر هذا في احترام عبدالله بن عمر وابنه سالم أميرهم الحجاج بن يوسف، حيث تأدبهم في مخاطبته وحديثهم معه، وذهابهم معه في الحج، ودخولهم تحت إمرته، وعدم افتياتهم أو خروجهم عليه وإثارة الخلاف والشقاق ضده، فما كان من ابن عمر وابنه إلا السمع والطاعة فراراً من الفتنة، ونبذاً للشقاق والاضطراب، وتحقيقاً للمصلحة العامة بطاعة ولاة الأمور، لما يكون في ذلك من النفع العام والخاص للبلاد والعباد.

فالسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، أصل من أصول العقيدة السلفية، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالافتيات عليهم وشق عصا الطاعة وإثارة الشقاق والخلاف معهم، فساد الدين والدنيا، قال عمر رضي الله عنه: «لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلابسمع وطاعة » رواه الدارمي، وقال الحسن بن علي البربهاري في كتاب السنة: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان»[١].

---

(١) طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦.

إن ولاة الأمر لهم المكانة العلية والمنزلة الرفيعة في الإسلام، منحهم الشارع ذلك ليتناسب قدرهم مع علو وظيفتهم ورفيع منصبهم، وهذا هو عين الحكمة والمصلحة التي يرعاها الإسلام في تشريعاته وأحكامه، لذا فقد فرض الإسلام طاعتهم ولزوم جماعتهم، وحذر من مفارقتهم وشق عصا طاعتهم ومخالفة كلمتهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[1]، وروى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا إن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[2]، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتة جاهلية** » الحديث [3]، وروى أيضاً عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك** »[4].

**المثال الثاني:** روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منيخ

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الأحكام- باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ١٣/ ١٢١ برقم ٧١٤٤، ومسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٢/ ٣٢٦ واللفظ له.

(٣) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٢/ ٢٤٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٢/ ٢٢٤.

بالبطحاء، فقال لي: **أحججت**؟ فقلت نعم، فقال: **بم أهللت**؟ قال: قلت:**لبيك بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم**، قال: **فقد أحسنت، طف بالبيت وبالصفا والمروة وأحلَّ**، قال: **فطفت بالبيت وبالصفا والمروة**، ثم أتيت امرأة من بني قيس ففلت رأسي، ثم أهللت بالحج، قال فكنت أفتي به الناس حتى كان في خلافة عمر رضي الله عنه، فقال له رجل يا أبا موسى أو يا عبدالله بن قيس، رويدك بعض فتياك فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعدك، فقال: يا أيها الناس من كنا قد أفتيناه فتيا فليتئد، فإن أمير المؤمنين قادم عليكم فبه فأتموا، قال فقدم عمر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال: إن نأخذ بكتاب الله، فإن كتاب الله يأمر بالتمام، وإن نأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل حتى بلغ الهدي محله »[1].

**في هذه القصة مسائل:**

**الأولى:** جواز تعليق الإحرام، فإذا قال أحرمت بإحرام كإحرام زيد، صح إحرامه وكان إحرامه كإحرام زيد، فإن كان زيد محرماً بحج أو عمرة أو قارناً، كان المعلَّق مثله.

**الثانية:** في قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري «**أحسنت**» الثناء الجميل على من فَعَل فِعْلاً حسناً، وأعظمه وأجله اتباعُ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب جواز تعليق الإحرام ٨/ ١٩٨-٢٠٠، ورواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب من أهلَّ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم ٣/ ٤١٦ برقم ١٥٥٩ بأخصر من هذا.

سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

**الثالثة**: أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده إلى الطواف ثم السعي بين الصفا والمروة ولم يذكر الحلق لأنه كان مشهوراً عندهم، فإذا فعل هذه الأمور الثلاثة، تحلل من عمرته فبقي حلالاً حتى يوم التروية، فيحرم بالحج بعد ذلك، قال النووي -رحمه الله-: « فإن قيل قد علق علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري رضي الله عنها إحرامهما بإحرام النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر علياً بالدوام على إحرامه قارناً، وأمر أبا موسى بفسخه إلى عمرة، فالجواب: أن علياً رضي الله عنه كان معه الهدي كما كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الهدي، فبقي على إحرامه كما بقي النبي صلى الله عليه وسلم على إحرامه، وكلُ من معه هدي، وأبو موسى لم يكن معه هدي، فتحلل بعمرة كمن لم يكن معه هدي، ولولا الهدي مع النبي صلى الله عليه وسلم لجعلها عمرة »[1].

**الرابعة**: كان أبو موسى يفتي بما علم مما أرشده نبي الأمة ومعلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ثم أُخبر رضي الله عنه بأن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه آنذاك كان يفتي بعدم الإحلال بالعمرة، وأن يظل الواحد منهم على نسكه، فأمسك أبو موسى عن الفتيا وأمر المسلمين بمتابعة إمامهم، وعدم مخالفته فقال رضي الله عنه: «يا أيها الناس من كنا قد أفتيناه فتيا فليتئد، فإن أمير المؤمنين قادم عليكم فبه فائتموا ».

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/ ١٩٩.

**الخامسة:** كل ما سبق دليل على أنه يجب على المسلم السمعُ والطاعة لولي الأمر، وعدمُ الافتيات عليه، أو الخروجُ عن جماعة المسلمين ومنازعتُهم، ولا يعني هذا أن أبا موسى ترك الحق أو تهاون في هذه السنة، لكنه لما علم أن فتياه ستحدث شقاقاً ومنازعة، وخلافاً وفرقة بين المسلمين، ترك ذلك رغبة في اجتماع كلمة المسلمين تحت إمامهم وولي أمرهم الذي لم يأت بأمر جديد، ولم يأمر ببدعة أو فجور، فالقرآن الذي دعا إليه عمر أحد أنساك الحج الثلاثة، وهو الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم.

**السادسة:** في قول أبي موسى: «فذكرت ذلك له -أي ما كان يفتي به الناس- فقال: إن نأخذ بكتاب الله، فإن كتاب الله يأمر بالتمام، وإن نأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل حتى بلغ الهدي محله »، في هذا أنه ينبغي مناقشة أهل العلم وسؤالهم عما يشكل بأدب تام وخلق جميل، وقد قيل: الأدب قبل الطلب، فأبو موسى لم يترك ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبةً عنه، بل ذهب يسأل من خالفه ويناقشه رغبةً في الوصول إلى الحق، واتباع السنة، وجمع كلمة الناس على ذلك، وقد أجابه عمر رضي الله عنه بأن كتاب الله عز وجل أمر بإتمام العمرة في قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾[1]، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحل حتى نحر هديه، فالكل صحيح وقد جاء به الدليل.

وقد جاء في رواية أخرى في صحيح مسلم أن عمر قال: «ولكن

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

كرهت أن يظلوا معرسين بهنَّ في الأراك، ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم»[1]، ومعنى كلامه:كرهت التمتع لأنه يقتضي التحلل ووطء النساء إلى حين دخولهم في نسك الحج .

**السابعة:** في هذه الحادثة وجوب التثبت في الأمور والتؤدة في إصدار الأحكام، وعدم التعجل في الآراء، ولو كان الأمر بخلاف ذلك، لكان الشقاق والخلاف، وافتراق الكلمة، وكثرة الخصومات والمنازعات، وكلها شر .

**المثال الثالث:** ما رواه الشيخان عن سعيد بن المسيب قال: « اجتمع علي وعثمان رضي الله عنهما بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة، فقال علي ما تريد إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه، فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك، فلما أن رأى علي ذلك، أهل بهما جميعاً »[2] .

قال النووي -رحمه الله-: «المختار أن المتعة التي نهى عنها عثمان هي التمتع المعروف في الحج، وكان عمر وعثمان ينهيان عنها نهي تنزيه لا تحريم، وإنما نهيا عنها لأن الإفراد أفضل -أي في رأيهما- فكان عمر وعثمان يأمران بالإفراد لأنه أفضل، وينهيان عن التمتع نهي تنزيه، لأنه مأمور بصلاح رعيته، وكان يرى الأمر بالإفراد من جملة صلاحهم، والله أعلم»[3]ا.هـ.

---

(١) صحيح مسلم -كتاب الحج - باب جواز تعليق الإحرام ١٠/ ٢٠١ .

(٢) رواه البخاي في صحيحه -كتاب الحج- باب التمتع والقران والإفراد بالحج- ٣/ ٤٢٣ برقم١٥٦٩، وروواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب جواز التمتع- ٨/ ٢٠٢ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٢٠٢ .

ومن صلاحهم أن يكثر ترددهم على البيت فلا يبقى مهجوراً، وينشئون سفراً آخر للعمرة، وبذلك يكثر زوار البيت، ويعظم الأجر لقاصديه لما بذلوه من جهد ومال ووقت من أجله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

إن ما قصده عمر وعثمان رضي الله عنهما من زيارة البيت الحرام عمرةً وحجاً، من أفضل الأعمال، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»، وفي الحث على مداومة العمرة والحج وعدم الانقطاع عن البيت العتيق، يقول صلى الله عليه وسلم: «**والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة**»[1]. وفي قول عثمان لعلي: «**دعنا منك**»، ثم قول علي له: «**إني لا أستطيع أن أدعك**» إشاعة العلم وإظهاره وإحياء السنة والعملُ بها بحكمة وأسلوب حسن، وحجة ناصعة ونية طيبة، بعداً عن الخلاف، وإثارة النزاع وشق عصا الطاعة[2]، وهذا كله ينبثق من قاعدة الإسلام العظيمة التي جاءت في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: «**الدين النصيحة**، قلنا لمن؟

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٥، ٣٨٧، والترمذي في جامعه -كتاب الحج- باب ماجاء في ثواب الحج والعمرة ٣/ ١٧٥ برقم ٨١٠، والنسائي في سننه -كتاب الحج- باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة ٥/ ١١٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٥٦٠ برقم ٢٩٠١.

(٢) ينظر: فتح الباري ٣/ ٤٢٥.

قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١]، وفي حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٢] متفق عليه، وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من واجب المسلم على أخيه المسلم في قوله: «وإذا استنصحك فانصح له»[٣]، يقول الشافعي: «أد النصيحة على أكمل وجه، واقبلها على أي وجه، ومن وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظ أخاه علانية فقد فضحه وشانه» [٤].

وهنا مسألتان تجب العناية بهما وامتثالُها:

إحداهما: أن على المسلم، وبخاصة طالب العلم، أن يكون حسن السمت والهدي الصالح، ودوام السكينة والوقار والتواضع، بعداً عن المنازعات والخصومات، واللغط ورفع الأصوات، طلبُ الحق والوصول إليه هدفه وغايتُه، وهكذا كان سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان رحم الله الجميع. قال محمد بن سيرين رحمه الله:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الإيمان- باب بيان أن الدين النصيحة- ٢/ ٣٧

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الإيمان- باب الدين النصيحة ١/ ١٣٧ رقم ٥٧، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الإيمان- باب بيان أن الدين النصيحة- ٢/ ٣٩.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه -كتاب السلام- باب من حق المسلم على المسلم رد السلام ١٤/ ١٤٣.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٩/ ١٤٠، شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٤، عون المعبود ١١/ ٣٣١.

«كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم »[١] ، فعلى طالب العلم الباحث عن الحق، أن يتحلى بالثبات والتأمل، فإن من تأمل أدرك، لاسيما في الملمات والمهمات، والأمور المشكلة التي قد تزل فيها أقدام الكثير، بسبب العجلة وعدم التؤدة، ولنا في نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم خير أسوة وأمثل قدوة، قال ابن القيم رحمه الله: « إذا جلست إلى عالم فسل تفقهاً لا تعنتاً »[٢]، وقال أيضاً: « للعلم ست مراتب؛ **أولها**: حسن السؤال، **الثانية**: حسن الإنصات والاستماع، **الثالثة**: حسن الفهم، **الرابعة**: الحفظ، **الخامسة**: التعليم، **السادسة**: وهي ثمرته، العملُ به ومراعاة حدوده»[٣].

وإياك -أخي المسلم- من المماراة في المحاورات والمناظرات، فإنها تحجج ورياء، ولغط وكبرياء عن الحق، كما أنها اختيال وشحناء، ومجارات للسفهاء، فاحذرها تسلم من المآثم وهتك المحارم، وهكذا فالعلم النافع له علامات أهمها: العملُ به، وكراهيةُ التزكية والمدح والتكبر على الخلق، والهربُ من حب الترأس والشهرة والدنيا، وقد كان عبدالله بن المبارك، أمير المؤمنين في الحديث، إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

**لا تعرضن بذكرهم في ذكرنا ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد**[٤]

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٧٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٦٨.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١٦٩ .

(٤) ينظر لما سبق: حلية طالب العلم ١٦، ١٧ – ٤٩ .

**المسألة الثانية**: تبين مما سبق، عناية الصحابة بامتثال السمع والطاعة لولي أمر المسلمين، وحرصهم على تطبيق ذلك، وعدم منازعتهم والافتيات عليهم، لأن السمع والطاعة لولي الأمر، أصل من أصول العقيدة، له أهميته البالغة، إذ بالسمع والطاعة لولاة الأمر، تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالافتيات عليهم ومنازعتهم، قولاً أو فعلاً، فساد الدين والدنيا معاً، واهتمام السلف رحمهم الله بهذا، تحمله صور كثيرة، وأمثلة متنوعة، وأقوال مسطرة، مما يدل على أنهم كانوا يولونه اهتماماً خاصاً، نظراً لما يترتب على الجهل به وإغفاله من الفساد العريض في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد، قال الحسن البصري في الأمراء: «هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم»[1].

**المثال الرابع**: ما رواه البخاري في صحيحه، عن عبدالرحمنِ بنِ يزيدَ قال: «صلى بنا عثمان بنُ عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات، ركعتان متقبلتان»[2].

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ١١٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الصلاة بمنى- ٣/ ٥٠٩ برقم ١٦٥٧، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- ٥/ ٢٠٤ .

**لي مع هذا الحديث الوقفات التالية:**

**الوقفة الأولى:** بوّب البخاري على هذا الحديث وغيره بـ « باب الصلاةُ بمنى»، ولم يذكر حكم المسألة لقوة الخلاف فيها، وخص منى بالذكر، لأنها المحلُ الذي وقع فيه الخلاف قديماً، ومع ذلك فقد دلت السنةُ على أن الحاج يقصر الصلاة الرباعية بمنى ركعتين دون جمع، بل يصلي كلَ صلاةٍ في وقتها.

**الوقفة الثانية:** اختلف أهلُ العلم في سبب إتمام عثمانَ صلاتَه بمنى، فقيل لكونه تأهل -أي تزوج- بمكة، فكان له بها أهل، واستدلوا بالحديث الذي رواه أحمد والبيهقيُ من حديث عثمان، « أنه لما صلى بمنى أربع ركعات، أنكر الناسُ عليه، فقال: إني تأهلت بمكة لما قدمت، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **من تأهل ببلدة، فإنه يصلي صلاة مقيم** »[1]، لكن هذا الحديث لا يصح، وفي رواته من لا يحتج به، ولأنه صلى الله عليه وسلم كان يسافر بزوجاته ويقصر، **القول الثاني:** أن عثمان كان أميرَ المؤمنين، وكلُ موضع له دار، ورُدَّ هذا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أولى بذلك، ومع ذلك فإنه لم يتمَ بل كان يقصر. **القول الثالث:** أنه عزم على الإقامة بمكة، ورُدَّ هذا بأن الإقامة بمكة على المهاجرين حرام، كما جاء ذلك في عدة أحاديث، ومن أقرب ما قيل في سبب إتمامه أقوال منها: أنه كان يرى

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٦٢، وفي سنده عكرمة الأزدي وهو ضعيف، ينظر فيمن حكم عليه بالضعف: مجمع الزوائد ٢/ ١٥٦، نصب الراية ٣/ ٢٧١ وقال: "رواه البيهقي في المعرفة في باب صلاة المسافر، ولم يصل سنده به، ثم قال: هذا حديث منقطع، وعكرمة الأزدي ضعيف".

القصر مختصاً بمن كان سائراً في الطريق، وأما من أقام في مكان في أثناء سفره فله حكمُ المقيم فيتم، وقيل: إن عثمان كان يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قصر لأنه أخذ بالأيسر من ذلك لأمته، وقيل: روى أبو داود وغيره عن الزهري قال: «إنما صلى عثمان بمنى أربعاً، لأن الأعرابَ قد كثروا في ذلك العام، فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع »[١]، ويؤيد هذا ما رواه البيهقي، أن عثمانَ أتم بمنى ثم خطب فقال: «إن القصرَ سنةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ولكنه حدث طغامٌ -أي جهال- فخفت أن يستنُّوا »[٢]، وعن ابن جريج أن أعرابياً نادى عثمانَ في منى فقال: «يا أميرِ المؤمنين، مازلتُ أصليها منذ رأيتُكَ عامَ أول - أي لما كان يقصر - ركعتين»[٣]، وبكل حال ففعل عثمانَ رضي الله عنه اجتهادٌ منه، وسنةُ النبي صلى الله عليه وسلم القصرُ دونَ الجمعِ في منى، والإتمامُ جائز .

**الوقفة الثالثة:** في قول الراوي عن ابن مسعود، أنه استرجع -أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون-، ما ينبغي للمسلم إذا رأى أمراً غريباً أو مستنكراً، أن يسترجع أو يقول: سبحان الله، أو الله أكبر .

**الوقفة الرابعة:** في قول ابن مسعود رضي الله عنه : « فليت حظي من أربع ركعات، ركعتان متقبلتان »، أنه كان يرى جوازَ الإتمام، وإلا لما كان له حظ من الأربع ولا من غيرها، فإنها تكون فاسدةً كلَها، ولذلك فقد أتم

---

(١) رواه أبوداود في سننه -كتاب المناسك- باب الصلاة بمنى ٢/ ٢٠٠ برقم ١٩٦٤ .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى -كتاب الصلاة- باب من ترك القصر في السفر غير رغبة عن السنة- ٣/ ١٤٤ .

(٣) ينظر لما سبق: فتح الباري ٢/ ٥٦٤-٥٦٥ .

مع عثمان، قال ابن قدامة: «المشهورُ عن أحمدَ أنه على الاختيار -أي بين الاتمام والقصر- والقصرُ عنده أفضل، وهو قولُ جمهور الصحابة والتابعين»[١].

**الوقفة الخامسة:** كان استرجاعُ ابنِ مسعود لما وقع عنده من مخالفة الأولى وهو القصر، ويؤيده ما رواه أبو داود والبيهقي «أن ابن مسعود صلى أربعاً، فقيل له:عبت على عثمان، ثم صليت أربعاً، فقال:الخلافُ شر»[٢]، وفي رواية البيهقي: «إني لأكره الخلاف»[٣]، وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان «إذا صلى مع الإمام، صلى أربعاً -أي مع عثمان- وإذا صلاها وحده صلى ركعتين»[٤]، وفي هذا كلِه طاعةُ ولي الأمر، وعدمُ شق عصا طاعته ومنابذتِه، وحرمةُ إثارة الناس عليه ومنازعته، فابن مسعود يعلم أن السنةَ القصر، والإتمامُ جائز، ومع ذلك لما رأى أميرَ المؤمنين عثمانَ ابنَ عفان يتمُ أتمَ معه، ولم يعتزل الأمير، ولم يثر عليه الناسَ، بل دعى إلى الصلاة خلفَه والإتمام به، لما يعلم من أضرار مخالفةِ ولي الأمر، وما يكون بعدها من الفساد العريض، وقال رضي الله عنه قولته التي تنم عن علمٍ وبصيرةٍ، وحكمةٍ وروية «الخلاف شر»، فهو يكره الخلافَ والنزاع،

---

(١) ينظر: شرح النووي ٥/ ٢٠٤، فتح الباري ٢/ ٥٦٥ .

(٢) رواه أبوداود في سننه -كتاب المناسك- باب الصلاة بمنى- ٢/ ١٩٩ برقم ١٩٦٠، ورواه البيهقي في السنن الكبرى -كتاب الصلاة- باب من ترك القصر في السفر غير رغبة عن السنة ٣/ ١٤٤.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى فيما سبق ٣/ ١٤٤ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥/ ٢٠٣ .

ويبغض المشاقةَ ونزعَ يدِ الطاعة، وفي قوله وعملِه دعوةٌ لغيره كي يقتفوا أثرَه ويسيروا على نهجه، أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم: «من **أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني** » رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه [١].

هذه النصوص وغيرُها كثير، دالةٌ على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية، فهذا الأصل من الأصول المقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي المقابل فقد حذر عليه الصلاة والسلام من الفرقة والخلاف، وإثارةِ الناس ونزعِ يد الطاعة، وتوعد مَنْ فعل ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم [٢]، وعلى السمع والطاعةِ كان عليه الصلاة والسلام يبايع أصحابَه، فعن عبادةَ بنِ الصامت رضي الله عنه قال: «**بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر والعلن، وعلى النفقةِ في العسر واليسر والأثرة، وألا ننازع الأمرَ أهلَه، إلا أن نرى كفراً بواحاً عندنا فيه من**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الأحكام- باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ١٣/ ١١١ برقم ٧١٣٧، ومسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٢/ ٢٢٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٢/ ٢٤٠.

الله برهان » رواه الشيخان [١].

**المثال الخامس:** ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر، ثم رجع فصلى الظهر بمنى »، قال نافع: « فكان ابن عمر يفيض يوم النحر، ثم يرجع فيصلي الظهر بمنى، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله » [٢].

## اشتمل هذا الحديث على الفوائد الآتية:

**الأولى:** جاء في حديث ابن عمر هنا، أنه عليه الصلاة والسلام أفاض يوم النحر، أي: طاف طواف الإفاضة، وهو أحد أركان الحج بإجماع العلماء، ويستحب فعله يوم النحر أول النهار، بعد الرمي والنحر والحلق، فإن أخره عنه وفعله في أيام التشريق، أجزأه ولا دم عليه بالإجماع، فإن أخره إلى ما بعد أيام التشريق، وأتى به بعدها أجزأه ولا شيء عليه عند أكثر العلماء، وقال أبو حنيفة ومالك: إذا طال تأخيره لزمه معه دم.

**الثانية:** في هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر يوم النحر بمنى، بعدما فرغ من طواف الإفاضة، وجاء في حديث جابر رضي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الأحكام- باب كيف يبايع الإمام الناس ١٣/ ١٩٢ برقم ٧١٩٩، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٢/ ٢٢٨ واللفظ له.

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الزيارة يوم النحر ٣/ ٥٦٧ برقم ١٧٣٢ مختصراً، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب طواف الإفاضة يوم النحر ٩/ ٥٨ واللفظ له.

الله عنه الطويل في صفة حجته صلى الله عليه وسلم، أنه أفاض عليه الصلاة والسلام يوم النحر، فصلى بمكة الظهر [١]، قال الإمام النووي: «ووجه الجمع بينهما، أنه صلى الله عليه وسلم طاف للإفاضة قبل الزوال، ثم صلى الظهر بمكة في أول وقتها، ثم رجع إلى منى فصلى بها الظهر مرة أخرى بأصحابه حين سألوه ذلك، فيكون متنفلاً بالظهر الثانية التي بمنى، وهذا كما ثبت في الصحيحين في صلاته صلى الله عليه وسلم ببطن نخل أحد أنواع صلاة الخوف، فإنه صلى الله عليه وسلم صلى بطائفة من أصحابه الصلاة بكمالها وسلم بهم، ثم صلى بالطائفة الأخرى تلك الصلاة مرة أخرى، فكانت له صلاتان ولهم صلاة، وأما الحديث الوارد عن عائشة وغيرها، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الزيارة يوم النحر إلى الليل، فمحمول على أنه عاد للزيارة مع نسائه، لا لطواف الإفاضة، ولا بد من هذا التأويل للجمع بين الأحاديث»[٢].

**الثالثة:** في قول نافع: «فكان ابن عمر يفيض يوم النحر، ثم يرجع فيصلي الظهر بمنى، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله»، دليل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره، ولهم في ذلك مواقف محمودة، تدل دلالة واضحة على صدق محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن آثار ذلك اتباعُ سنته واقتفاء أثره، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٨/ ١٩٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ١٩٣ .

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[(١)]، ويقول جل وعلا: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾[(٢)].

المثال السادس: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري، عن عبدالعزيز بن رُفيع قال: «سألت أنس بن مالك قلت: أخبرني بشيء عقلته عن النبي صلى الله عليه وسلم، أين صلى الظهر والعصر يوم التروية؟ قال: بمنى، قلت: فأين صلى العصر يوم النحر؟ قال: بالأبطح، ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك»، وفي رواية «انظر حيث يصلي أمراؤك فصل»[(٣)].

## في هذا الحديث الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: ذكر الحافظ ابن حجر أن سبب تسمية يوم التروية بهذا الاسم، أن الناس كانوا يروون فيه إبلهم، ويتروون من الماء، لأن تلك الأماكن لم يكن فيها إذ ذاك آبار ولا عيون، وقد قيل في سبب التسمية أقوال شاذة منها: أن آدم رأى فيه حواء واجتمع بها، ومنها أن إبراهيم رأى في ليلته أنه يذبح ابنه إسماعيل، فأصبح متفكراً يتروى، ومنها أن جبريل عليه السلام أرى فيه إبراهيم مناسك الحج، وقيل غير ذلك، وكلها أقوال شاذة لا تصح[(٤)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) سورة النور، الآية ٥٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب أين صلى الظهر يوم التروية ٣/ ٥٠٧ برقم ١٦٥٣-١٦٥٤، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب طواف الإفاضة يوم النحر ٩/ ٥٨.

(٤) فتح الباري ٣/ ٥٠٧.

**الوقفة الثانية:** دل هذا الحديث وغيره على أن السنة أن يصلي الحاج الظهر يوم التروية وكذا العصر والمغرب والعشاء وفجر يوم التاسع بمنى، هذا مذهب الجمهور، وقد جاء في حديث جابر الطويل في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم عند مسلم: « فلما كان يوم التروية، توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر »[١]، هذا هو السنة، لكن لو لم يصل هذه الصلوات بمنى يوم التروية فلا شيء عليه، لكنه خالف الأفضل والأولى، وقد روي عن بعض الصحابة أنهم كانوا لا يصلون الظهر يوم التروية بمنى، إنما يصلونها بمكة، روي هذا عن ابن الزبير وابن عباس وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، فعدم صلاتهم بمنى لضرورة أو لبيان الجواز، قال ابن المنذر: « إن من السنة أن يصلي الإمام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنى، قال به علماء الأمصار، قال: ولا أحفظ عن أحد من أهل العلم أنه أوجب على من تخلف عن منى ليلة التاسع شيئاً »[٢].

**الوقفة الثالثة:** في قول أنس: « افعل ما يفعل أمراؤك »، الأمر بطاعة ولي الأمر ومتابعته وعدم مخالفته، والالتزام بجماعة المسلمين وعدم الخروج عليهم، أو الافتيات على أمرائهم، قال الحافظ ابن حجر: « وفي الحديث أيضاً الإشارة إلى متابعة أولي الأمر، والاحتراز عن مخالفة الجماعة »[٣]، فقد

---

(١) صحيح مسلم -كتاب الحج- باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٨/ ١٨٠.

(٢) ينظر: فتح الباري ٣/ ٥٠٩، شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ١٨٠ .

(٣) فتح الباري ٣/ ٥٠٩ .

أمر أنس السائل بأن يصلي مع الأمراء حيث يصلون، ولا يتخلف عن جماعة المسلمين، فالصلاة للحجاج في غير منى يوم التروية جائزة، وإن كان الأفضل الصلاة بها، لكن لا يكون هذا مدعاة إلى مخالفة ولي الأمر، وإثارة الفرقة والخلاف بين الناس، وزعزعة الصف واضطراب الأمور، عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً..**» الحديث، رواه أحمد والحاكم والطبراني[1]، وروى أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[2].

**المثال السابع**: ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ بالبطحاء بذي الحليفة فصلى بها، وكان عبدالله بن عمر يفعل ذلك»[3].

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في اتباع السنة والتمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد حفلت كتب السنة بنقل

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/ ١٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٣٠٦ برقم ٧٨٨، والحاكم في المستدرك -كتاب العلم- ١/ ١١٩ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٨١ برقم ٥٤٢.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، وقال الهيثمي "رجاله ثقات" مجمع الزوائد ٥/ ٢١٨، ٨/ ١٨٢، وقال الألباني "هذا إسناد حسن رجاله ثقات" السلسلة الصحيحة ٢/ ٢٧٢ برقم ٦٦٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- ٣/ ٣٩١ برقم ١٥٣٢.

ذلك بالأسانيد الصحيحة، فكانوا قدوة لمن بعدهم في اتباع السنة وسرعة الاستجابة والانقياد التام لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء في الحج.

قوله « بذي الحليفة » هذا من مواقيت الحج المكانية لأهل المدينة، ولمن أتى عليه ممن أراد الحج أو العمرة، ومعنى «أناخ »، أي بَرَّكَ بعيره، والمراد أنه نزل بها، وقوله «فصلى بها »، يحتمل أن يكون للإحرام، ويحتمل أن يكون للفريضة، ولكن جاء بيان ذلك في حديث أنس رضي الله عنه أنه «صلى الله عليه وسلم صلى العصر بذي الحليفة ركعتين»[1]، وكان ابن عمر، وهو المعروفُ بحرصه على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم يفعلُ ذلك، كما صنع القدوةُ المعلم عليه الصلاة والسلام.

**المثال الثامن:** ما رواه نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أنه كان إذا صلى الغداةَ بذي الحليفة، أمر براحلته فَرُحِلَت ثم ركب، فإذا استوت به استقبل القبلة قائماً، ثم يلبي حتى يبلغ المَحْرم، ثم يمسك حتى إذا جاء ذا طوى، بات به حتى يصبح، فإذا صلى الغداة اغتسل، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك»، وفي رواية أخرى « كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة، ادهن بدهن ليس له رائحة طيبة، ثم يأتي مسجدَ الحليفة فيصلي ثم يركب، وإذا استوت به راحلته قائمة أحرم ثم قال: هكذا رأيت

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب من بات بذي الحليفة حتى أصبح ٣/ ٤٠٧ برقم ١٥٤٧.

النبي صلى الله عليه وسلم يفعل»[١].

**اشتمل هذا الحديث على مسائل:**

**الأولى:** بوَّب البخاري في صحيحه على هذا الحديث بقوله: «باب الإهلال مستقبل القبلة »، قال الحافظ ابن حجر: « قوله: «استقبل القبلة قائماً » أي مستوياً على ناقته، أو وصَفَه بالقيام لقيام ناقته، وقد جاء في الرواية الثانية بلفظ «فإذا استوت به راحلته قائمة » .

**المسألة الثانية:** قوله « ثم يلبي حتى يبلغ المحرم ثم يمسك، حتى إذا جاء ذا طوى بات به حتى يصبح »، ظاهره أنه كان يترك تكرارَ التلبية والمواظبةَ عليها ورفعَ الصوت بها، الذي يفعله في أول الإحرام، لا أنه كان يترك التلبية إذا جاء الحرم، أما قطعُ التلبية، فقد دلت الأحاديث الصحيحة، أن المعتمرَ يقطع التلبيةَ إذا بدأ بالطواف، أما الحاج فيقطع التلبية عند رمي جمرة العقبة يوم العيد .

قال المهلب: «استقبال القبلة بالتلبية هو المناسب، لأنها إجابة لدعوة إبراهيم، ولأن المجيبَ لا يصلح له أن يولي المجابَ ظهرَه، بل يستقبلُه »، قال الحافظ ابن حجر: «من لازم الموجّه إلى مكة في ذلك الموضع أن يستقبل القبلة »[٢]، أما ذوطُوى، فيقال بضم الطاء وفتحها، واد معروف بقرب

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الإهلال مستقبل القبلة ٣/ ٤١٢-٤١٣ برقم ١٥٥٣-١٥٥٤ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه-كتاب الحج - باب بيان أن الأفضل أن يحرم حين تنبعث به راحلته ٨/ ٩٦-٩٧ .

(٢) فتح الباري ٣/ ٤١٤ .

مكة، ويعرف ببئر الزاهر وهو مقصور منون وقد لا ينون [١]، وقد ذكر العلماء الحكمةَ في اغتساله صلى الله عليه وسلم بذي طوى، أنه لطولِ السفر ومشقةِ الطريق. قال ابن التين: « لم يذكر أصحابُنا الغسلَ لدخول مكة، وإنما ذكروه للطواف، والغسل لدخول مكة هو في الحقيقة للطواف »[٢].

**المسألة الثالثة:** قوله «وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك»، القائل هو نافع الراوي عن ابن عمر، والزعم هنا يطلق على القول الصحيح، وقد جاء في رواية «ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك»[٣]، وليس المرادُ بالزعمِ هنا الافتراءَ والكذبَ، وهنا جمع ابنُ عمر بين تطبيق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفعل، ثم بين أن ما صنعه هو الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الجمع بين الأمرين ما يدل على حرصه على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم أولاً، وثانياً إرشادُ الناس وتعليمُهم هذه السنة، ودعوتُهم إلى العمل بها، كما صنع هو رضي الله عنه.

**المثال التاسع:** من تطبيق الصحابة للسنة وفرحهم بذلك، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي قال: « تمتعت، فنهاني ناسٌ، فسألت ابن عباس رضي الله عنه فأمرني، فرأيت في المنام كأن رجلاً يقول لي: حج مبرور وعمرة متقبلة، فأخبرت ابنَ عباس، فقال: سنةُ

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٤٥، فتح الباري ٣/ ٤١٣.

(٢) فتح الباري ٣/ ٤٣٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الاغتسال عند دخول مكة ٣/ ٤٣٥ برقم ١٥٧٣.

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أقم عندي فأجعل لك سهماً من مالي»، قال شعبة - الراوي عن أبي جمرة - فقلت: لِمَ؟ فقال: للرؤيا التي رأيت[١].

كان سؤالُ أبي جمرة لابن عباس زمنَ ولاية عبدالله بن الزبير، وكان ينهى عن المتعة كما رواه مسلم من حديث جابر[٢]، فسأل ابنَ عباس، فأمره أن يستمر في عمرته ثم يُحِلَّ منها، ثم يحرمَ بالحج، وهذا أحد أنساك الحج الثلاثة، قال الحافظ ابن حجر: « ويؤخذ منه إكرامُ من أخبر المرءَ بما يسره، وفَرَحُ العالم بموافقتِهِ الحق، والاستئناسُ بالرؤيا الموافقة الدليل الشرعي، وعرضُ الرؤيا على العالم، والتكبيرُ عند المسرة، والعملُ بالأدلة الظاهرة، والتنبيهُ على اختلاف أهل العلم ليعملَ بالراجح منه الموافقِ للدليل»[٣]، ففي هذه القصة من إرشادِ ابنِ عباس السائلَ إلى الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ثم فرحِهِ بهذه الرؤيا الصالحة، وإكرامِهِ له بأن أعطاه جزءاً من ماله، ما يدل دلالة واضحة على حرص الصحابة على الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتقديمها والعمل بها .

**المثال العاشر**: من هذه الأمثلة والمواقف: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور، أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، ثم قال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب التمتع والقران والإفراد بالحج ٣/ ٤٢٢ برقم ١٥٦٧ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب جواز التمتع في الحج والقران ٨/ ٢٣٣ .

(٣) فتح الباري ٣/ ٤٣١ .

يقبلك ما قبلتك»[1]، هذا الخبر عن عمر يدل على تمام الانقياد والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ظهرت الحكمة في فعل هذا الأمر أم لم تظهر، قال الطبري: «إنما قال ذلك عمر، لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس، أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته، كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان»[2]، وقال الحافظ ابن حجر: «وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله، ولو لم يعلم الحكمة فيه، وفيه دفعُ ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته، وفيه بيان السنن بالقول والفعل، وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فسادَ اعتقاد، أن يبادر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك»[3].

**المثال الحادي عشر:** ومثل عمر في اتباعه السنة وحرصه على تطبيقها والعمل بها، ابنه عبدالله حيث روى البخاري أن رجلاً سأل ابن عمر رضي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب ما ذكر في الحجر الأسود ٣/ ٤٦٢ برقم ١٥٩٧، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٩/ ١٧.

(٢) فتح الباري ٣/ ٤٦٢، ٤٦٣.

(٣) فتح الباري ٣/ ٤٦٣.

الله عنهما، عن استلام الحجر، فقال: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله، قال قلت: أرأيت إن زحمت؟ أرأيت إن غلبتُ ؟ قال: اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله »[(١)].

السائل هنا هو الراوي عن ابن عمر، جاء بيان ذلك فيما رواه أبو داود الطيالسي، وهو الزبير بن العربي[(٢)]، وإنما قال له ذلك لأنه فهم منه معارضة الحديث بالرأي، فأنكر عليه ذلك، وأمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به ويتقي الرأي، والظاهر أن ابن عمر لم ير الزحام عذراً في ترك الاستلام، وقد روى سعيد بن منصور من طريق القاسم بن محمد قال: « رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يدمى »[(٣)]. هذا رأي ابن عمر رضي الله عنهما، لكن قد ثبت في الأحاديث الأخرى، أنه عليه الصلاة والسلام أمر بتقبيل الحجر الأسود، فإن لم يتيسر استلمه بيده أو عصاه، فإن لم يتيسر الاستلام أشار إليه وكبر، ولا يزاحم الناس ولا يضايقهم، وقد روى الفاكهي من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة المزاحمة، وقال: « لا يُؤذي ولا يؤذى» قال الحافظ ابن حجر: « فائدة: المستحب في التقبيل ألا يرفع به صوته، وروى الفاكهي عن سعيد بن جبير قال: إذا قبلت الركن فلا ترفع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب تقبيل الحجر ٣/ ٤٧٥ برقم ١٦١١.

(٢) ينظر: مسند أبي داود الطيالسي ص٢٥٤ برقم ١٨٦٤ .

(٣) ينظر: فتح الباري ٣/ ٤٧٦

بها صوتك كقبلة النساء»(١)

**المثال الثاني عشر**: جاء في إحدى روايات حديث عمر السابق في آخره أنه قال: «مالنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه»(٢)، الرمل بفتح الراء والميم الإسراع، قال ابن دريد: «هو شبيه بالهرولة، وأصله أن يحرك الماشي منكبيه في مشيه، وهو سنة في الثلاثة الأشواط الأولى»، وجاء في رواية أبي داود «فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطَّأ الله الإسلام ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لاندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٣)، والمراد بالكشف عن المناكب الاضطباع، وهو أن يدخل رداءه تحت إبطه الأيمن ثم يرد طرفيه على منكبه الأيسر، فيبدي منكبه الأيمن ويستر الأيسر، وهو مستحب عند الجمهور، وفي سؤال عمر هذا ثم قوله: «شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم، فلا نحب أن نتركه»، دليل على صدق المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته واقتفاء أثره، وقول عمر هنا «مالنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين»، معناه: أي أريناهم بذلك أنَّا أقوياء، قال الحافظ ابن حجر « ومحصله: أن عمر كان همَّ بترك الرمل في الطواف لأنه عرف سببه وقد انقضى، فهمَّ أن يتركه لفقد سببه، ثم رجع عن ذلك لاحتمال أن تكون له حكمة ما اطلع عليها، فرأى أن الاتباع أولى من

---

(١) ينظر: فتح الباري ٣/ ٤٧٦

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج- باب الحج والعمرة ٣/ ٤٧١ برقم ١٦٠٥.

(٣) رواه أبوداود في سننه -كتاب المناسك- باب في الرمل ٢/ ١٧٨، ١٧٩ برقم ١٨٨٧.

طريق المعنى، وأيضاً كأن فاعل ذلك إذا فعله تذكر السبب الباعث على ذلك، فيتذكر نعمة الله على إعزاز الإسلام وأهله»[١]، وفي هذه القصة مسألتان:

**إحداهما**: أنه استُشْكل قول عمر «راءينا» مع أن الرياء بالعمل مذموم، والجواب أن صورته وإن كانت صورة رياء، لكنها ليست مذمومة، لأن المذموم أن يظهر العمل ليقال إنه عامل، ولا يعمله بغيبة إذا لم يره أحد، وأما الذي وقع في هذه القصة، فإنما هو من قبيل المخادعة في الحرب، لأنهم أوهموا المشركين أنهم أقوياء لئلا يطمعوا فيهم، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الحرب خدعة»[٢].

**الثانية**: لا يشرع تدارك الرمل، فلو تركه في الثلاثة الأشواط الأولى لم يقضه في الأربع الباقية، لأن هيئتها السكينة فلا تغير، والرمل خاص بالرجال، فلا رمل على النساء خشية تكشفهن، قال النووي: «واتفق العلماء على أن الرمل لا يشرع للنساء، كما لا يشرع لهن شدة السعي بين الصفا والمروة»[٣]، وقال الطبري: «قد ثبت أن الشارع رمل ولا مشرك يومئذ بمكة - يعني في حجة الوداع - فعلم أنه من مناسك الحج، إلا أن

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٧٢.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه -كتاب الجهاد والسير- باب الحرب خدعة ٦/ ١٥٨ برقم ٣٠٢٩-٣٠٣٠، ومسلم في صحيحه -كتاب الجهاد- باب جواز الخداع في الحرب ١٢/ ٤٥ من حديث أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ٧.

تاركه ليس تاركاً لعمل، بل لهيئة مخصوصة، فكان كرفع الصوت بالتلبية، فمن لبى خافضاً صوته لم يكن تاركاً للتلبية، بل لصفتها ولا شيء عليه»[١].

**المثال الثالث عشر**: ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، بين العمودين اليمانيين»[٢]، وفي رواية أخرى «أنه كان إذا دخل الكعبة، مشى قبل الوجه حين يدخل، ويجعل الباب قِبَل الظهر، يمشي حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريباً من ثلاث أذرع فيصلي، يتوخى المكان الذي أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه، وليس على أحد بأس أن يصلي في أي نواحي البيت شاء»[٣]. هكذا كان ابن عمر رضي الله عنهما حريصاً على تتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك صلاته عليه الصلاة والسلام في الكعبة، فسأل ابن عمر عن موضعه الذي صلى فيه، لأنه لم يكن قد دخل معه، ثم صلى فيه. قال الحافظ ابن حجر: «وفيه السؤال عن العلم والحرص فيه، وفضيلة ابن عمر لشدة حرصه على

---

(١) ينظر: فتح الباري ٣/ ٤٧٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج - باب إغلاق البيت ويصلي في أي نواحي البيت شاء ٣/ ٤٦٣ برقم ١٥٩٨، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج - باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره ٩/ ٨٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الحج - باب الصلاة في الكعبة ٣/ ٤٦٧ برقم ١٥٩٩.

تتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم ليعمل بها »[١].

**المثال الرابع عشر**: من أمثلة حرص الصحابة والتابعين على تتبع السنة والعمل بها، والبحث عن الأفضل، ما جاء في صلاة الركعتين اللتين بعد الطواف، فهما سنة تصليان خلف المقام إن تيسر، فإن لم يتيسر لزحام أو غيره صلاهما في أي موضع، قال البخاري: «قال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي لكل سُبُوع ركعتين، وقال إسماعيل بن أمية: قلت للزهري إن عطاء يقول: تجزئه المكتوبة من ركعتي الطواف، فقال: السنة أفضل، لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم سُبُوعاً قط إلا صلى ركعتين»، ثم روى البخاري بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاف بالبيت سبعاً، ثم صلى خلف المقام ركعتين، وسعى بين الصفا والمروة، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾»[٢].

ومما يدل على تمسكهم بالسنة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وحسن الأدب وكريم التعامل مع المخالف، ما رواه مسلم عن وبرة بن عبد الرحمن المُسلي قال: «كنت جالساً عند ابن عمر، فجاء رجل فقال: أيصلح لي أن أطوف بالبيت قبل أن آتي الموقف؟ فقال: نعم، فقال: فإن ابن عباس يقول: لا تطف بالبيت حتى تأتي الموقف، فقال ابن عمر: فقد حج رسول

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٦٦.

(٢) صحيح البخاري -كتاب الحج- باب صلى النبي صلى الله عليه وسلم = لسبوعه ركعتين ٣/ ٤٨٤ برقم ١٦٢٣، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب طواف القدوم للحاج والسعي بعده ٨/ ٢١٩.

الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت قبل أن يأتي الموقف ، فبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تأخذ، أو بقول ابن عباس إن كنت صادقاً»، وفي رواية قال: « سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما، أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج؟ فقال: وما يمنعك؟ قال: إني رأيت ابن فلان يكرهه، وأنت أحب إلينا منه، رأيناه قد فتنته الدنيا، فقال: وأينا وأيكم لم تفتنه الدنيا، ثم قال: رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحرم بالحج وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، فسنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أحقُّ أن تتبع من سنة فلان إن كنت صادقاً »(١). قال النووي: «هذا الذي قاله ابن عمر هو إثبات طواف القدوم للحاج، وهو مشروع قبل الوقوف بعرفات، وبهذا الذي قاله ابن عمر، قال العلماء كافة سوى ابن عباس، وكلهم يقولون: إنه سنة ليس بواجب، إلا بعض أصحابنا ومن وافقه، فيقولون واجب يجبر تركه بالدم، والمشهور أنه سنة ليس بواجب، ولا دم في تركه»(٢).



(١) صحيح مسلم -كتاب الحج- باب استحباب طواف القدوم للحاج والسعي بعده ٨/ ٢١٧-٢١٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٢١٧.

## المبحث التاسع

# الاهتمام بالسنة وثمار اتباعها

إن أحق ما اعتنى به المسلم، وأولى ما صرف فيه أوقاته العملُ الدؤوب على اقتفاء آثار النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل بها في حياته، فهي الهداية الموصلة إلى دار السعادة، قال عز وجل: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[(٢)]، وقد جمع هذا كله في قوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[(٣)]. قال ابن كثير عند هذه الآية: «أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله »[(٤)].

لذا فقد بذل علماء السنة والجماعة جهوداً ظاهرة في خدمة السنة النبوية، تأليفاً وتحقيقاً وتعليماً وحثاً للناس على التمسك بها وإرشاداً إليها، تلك الجهود المبذولة، التي فنيت فيها الأعمار، وتُجُشمت من أجلها الأخطار، وأوثر في سبيلها الإعسار على الإيسار، فوصلت إلينا سنة رسولنا صلى الله عليه وسلم محفوظة مكلوءةً بعناية الله، لينصب جهدنا في تعلمها وتعليمها، ودعوة الناس إلى العمل بها، وفي أولئك يقول أبو عبدالله الحاكم: «قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل

---

(١) سورة النور، الآية ٥٤ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٩١ .

البدع والمخالفين لسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين »[١].

إن شرف المؤمن ومنزلته إنما تقاس باتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلما كان تحريه للسنة عملاً بها أكثر، كان بالدرجات العلى أحقُ وأجدر، قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]، قال الحسن البصري: « فكان علامةُ حبهم إياه، إتباعُ سنة رسوله عليه الصلاة والسلام»[٣]، ولقد حثنا صلوات الله وسلامه عليه على الأخذ بسنته والعمل بها، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[٤]، وفي المسند وغيره عن العرباض بن سارية قال: «**وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا، قال: قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً**

---

(١) معرفة علوم الحديث ص٢ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١ .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٣٣، وروى الطبري نحوه في تفسيره ٦/ ٣٢٣ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الجمعة- باب خطبته صلى الله عليه وسلم في الجمعة ٦/ ١٥٣- ١٥٤ .

**كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[١]** الحديث.

أما أقوال الصحابة والتابعين في الحث على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكثيرة منها: ما رواه الدارمي عن الزهري قال «كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»[٢]، وروى المروزي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «السنن السنن، فإن السنن قوام الدين»[٣]، وأخرج أبونعيم في الحلية عن الأوزاعي أنه قال: «كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»[٤]، وروى الدارمي عن عبدالله الديلمي أنه قال: «بلغني أن أول ذهاب الدين تركُ السنة، يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة»[٥].

ومتى حافظ المسلم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، علماً وعملاً وتعليماً، حصل له من الفوائد والنتائج الطيبة والثمار المباركة مالا يخطر ببال، يقول ابن قدامة رحمه الله: «وفي اتباع السنة بركةُ موافقة الشرع، ورضا الرب سبحانه وتعالى، ورفعُ الدرجات، وراحة القلب، ودعةُ البدن،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٦، وصححه شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٧٩.

(٢) رواه الدارمي في سننه -باب اتباع السنة ١/ ٤٥.

(٣) رواه المروزي في كتاب السنة ص٣٤٢.

(٤) رواه أبونعيم في الحلية ٦/ ١٤٢.

(٥) رواه الدارمي في سننه -باب اتباع السنة ١/ ٤٥.

وترغيمُ الشيطان، وسلوكُ الصراط المستقيم»(١).

ومن آثار العمل بالسنة: الوصول إلى درجة المحبة، محبةِ الله عز وجل لعبده المؤمن، روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»**(٢)، بمعنى أن الله يوفقه لاستعمال جوارحه في حدود الشرع والمباح، ويكفه عن الحرام، وفي الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**(٣)، هذا لفظ البخاري.

ومن فوائد العمل بالسنة: أن في العمل بها عصمةً من الوقوع في البدع، قال بعض السلف: «لم يضيع أحد فريضة من الفرائض، إلا ابتلاه الله بتضييع السنن، ولم يبتل بتضييع السنن أحدٌ إلا يوشك أن يبتلى بالبدع»(٤)، فالبدع إنما

---

(١) ذم الموسوسين لابن قدامة ص٤١ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الرقاق- باب التواضع ١١/ ٣٤٠ برقم ٦٥٠٢ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب بدء الخلق- باب ذكر الملائكة ٦/ ٣٠٣ برقم ٣٢٠٩، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب البر والصلة والآداب- باب محبة الله للعبد ١٦/ ١٨٣-١٨٤ .

(٤) ضرورة الاهتمام بالسنن النبوية ص٥٢ .

تفشو إذا انطفأ نور السنة، وقلَّ العاملون بها والداعون إليها، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «ما يأتي على الناس من عام، إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن»[١].

ومنها أن الحرص على القيام بالسنن من تعظيم شعائر الله، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢]، قال الإمام الشنقيطي: « وشعائر الله عام في جميع شعائر الله، ومنها المناسك كلُها، ومعنى تعظيمها إجلالُها والقيام بها، وتكميلها على أكملِ ما يقدر عليه العبد، وتعظيم هذه الشعائر لا يقوم إلا بقلب بلغ من التقوى ذراها، لأن المعظِّم لها يبرهن على تقواه، وصحة إيمانه، فتعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله»[٣]، وإن من أعظم شعائر الله تعالى، السنن التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمحافظة عليها، والوصية بها، من إجلال هذه الشعائر وتعظيمها.



(١) ضرورة الاهتمام بالسنن النبوية ص٥٢.

(٢) سورة الحج، الآية ٣٢.

(٣) أضواء البيان ٥/ ٦٩٢.

## المبحث العاشر

## المداومة على العمل الصالح بعد الحج

إن نعمَ الله علينا كثيرةٌ لا تعد ولا تحصى ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، أجلُها وأعظمُها الهدايةُ لدين الإسلام، والتوفيقُ للطاعة، والإعانةُ على أدائها والقيام بها، ومن أجلِّ الطاعات وأفضلِ القربات، حجُ بيت الله الحرام، حيث يقوم الحجاج بقصدِ بيت الله العتيق، والتنقلِ بين تلك المشاعر المقدسة، وأداءِ تلك المناسكِ العظيمة، راجين ما عند الله من الرحمةِ والرضوان، والعفوَ عما سلف وكان من الذنوب والعصيان، « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »، أما من لم يتيسر له الحج، فقد وفق -بإذن الله- للإجتهادِ في أيام العشر الفاضلة، وتعرض لنفحاتِ المولى جل وعلا في أيامها المباركة، حيث الصلاةُ والصيام، والتكبيرُ وتلاوة القرآن .

إنه ليس شيءٌ أحبَ إلى المؤمن الصادق من أن يبذلَ ما يملك، ويتركَ ما يحب، من أجل نيلِ رضا ربه عنه، ومغفرتِه ذنوبَه، ومحوِ زلاتِه، وإقالةِ عثراتِه، لذا فقد ترك الزوجةَ والأولاد، وهجر المالَ والدارَ، متجشماً الصعابَ، متحملاً المتاعبَ في سبيل الوصول إلى أشرف بقعة وأطهر مكان، ليتنقل بين شعائرها بقلب منيب وجل خائف، أملُه في الله لا ينقطع، ورجاؤه في رحمة أرحم الراحمين لا يخيب .

---

(١) سورة النحل، الآية ٥٣ .

ومع هذا البذل والعطاء وتلبيةِ النداء، فإن الخسارةَ العظمى والفادحةَ الكبرى، لمن رجع من حجه على غير طائل، خرج من حجه خائباً محروماً، لم يظفر من حجه إلا الذهاب والإياب، والجهد والمشقة، والنصب والتعب والعناء، نعوذ بالله من الخذلان، لذا فقد كان السلفُ الصالحُ يجتهدون في إتمامِ العمل وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء هم المؤمنون الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾[١]، قالت عائشة: «يا رسول الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: **لا يا بنت أبي بكر، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف الله عز وجل**»، وفي رواية «**وهم يخافون ألا يقبل منهم**»[٢]، ولذلك لما قيل لابن عمر رضي الله عنهما، ما أكثر الحاج، قال: «بل ما أكثر الركب وأقل الحاج»، وقال علي رضي الله عنه: «كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل،ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾»[٣][٤]، وقال أبو الدرداء: «لأن أستيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾»[٥]، وقال

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٦٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٥٩، والترمذي في سننه -كتاب تفسير القرآن- باب من سورة مريم ٥/ ٣٠٦-٣٠٧ برقم ٣١٧٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٧ .

(٤) ينظر: لطائف المعارف ٣٧٥ .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٨٥ وعزاه لابن أبي حاتم عنه .

عبدالعزيز بن أبي رواد - حاكياً حال السلف رحمهم الله-: « أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم، أيقبل منهم أم لا؟»[١]، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل «أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا بها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل »[٢].

وإن من الخسارة كذلك، أن يلوث الحاج ما عاشه فيما مضى من لذة المناجاة ونعيم الطاعة بالمعاصي والذنوب، وأن ينقض تلك العهود التي قطعها على نفسه ألا يعود إلى الخطأ والزلل مرة أخرى، وإذا كان فعل السيئة قبيحاً، والوقوع في الخطيئة جرماً، فإن ذلك يعظم ويقبح إذا كان بعد طاعة من أجلِّ الطاعات، ألا وهي حج بيت الله الحرام .

إن الخير كل الخير، والطهر كل الطهر، أن يحج أحدنا وترى أثار حجه عليه، بلزوم العهد القديم والمسلك القويم، الذي كان عليه في الحج، وليكن خروجنا من هذه الطاعات خروج الغانم الكاسب المغتبط بما وفقه الله لطاعته ولزوم عهده، فالمؤمن الصادق ما يخرج من طاعة إلا ويدخل في أخرى، محياه ومماته لله رب العالمين، قال الحسن البصري رحمه الله: «آية الحج المبرور: أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة »[٣]، وإن من علامة قبول الطاعة أن توصل بالطاعة بعدها، وعلامة ردها أن توصل بمعصية، فما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، ولذلك كان الإمام أحمد رحمه الله يقول:

---

(١) ينظر: لطائف المعارف ٣٧٦ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٨٥ ، وعزاه لابن أبي الدنيا عنه .

(٣) ينظر: لطائف المعارف ١٢٥ .

«اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك»[١]، وكان عامة دعاء إبراهيم ابن أدهم رحمه الله: «اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة»[٢].

وقد تضعف النفس في الاستمرار على العمل الصالح والمداومة عليه، ولمعالجة هذا الداء لابد من العزيمة الصادقة على لزوم العمل والمداومة عليه، أياً كانت الظروف والأحوال، وهذا يستلزم نبذ العجز والكسل والدعة والخمول، وإذا كان الإنسان يكره الموت الذي فيه انقطاع حياته، ويكره الهرم الذي فيه انهيار شبابه وقوته، ألا يدرك أن هناك أمراً - لربما كان أشد منهما - وهو العجز والكسل، وضعف الهمة والتراخي، والتسويف وركوب بحر التمني، مما يقعده عن كل عمل صالح، ويثبطه عن كل بر وطاعة.

وقد كانت حياة السلف رحمهم الله، معمورة بطاعة الله حتى يلقوا ربهم، وأقوالهم وأحوالهم في ذلك كثيرة، قال ميمون بن مهران: «لا خير في الحياة إلا لتائب، أو رجلٍ يعمل في الدرجات، ومن عداهما فخاسر»[٣]، وقال بعضهم يحكي حالهم: «كانوا يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس»[٤]، يريد: أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير، وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم، أنه سئل: أي الناس خير؟ قال: «**من طال عمره وحسن عمله، قيل: فأي الناس شر؟ قال: من**

(١) ينظر: لطائف المعارف ١٢٩.

(٢) ينظر: لطائف المعارف ١٢٩.

(٣) ينظر: صفة الصفوة ٤/ ١٩٤، لطائف المعارف ٥١٧.

(٤) ينظر: لطائف المعارف ٥١٧.

**طال عمره وساء عمله»**[١]. فالمؤمن الصادق لا يزداد بطول عمره إلا خيراً، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب** »[٢]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**»[٣]، وعنه أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من أحد يموت إلا ندم، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع**»[٤]، فإذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة من العمل الصالح، فكيف يكون حال المسيئ ؟ .

وكان السلف رحمهم الله لا يفرحون بمرور الأيام والليالي، يقول أبو الدرداء: «إنما أنت أيام، كلما مضى منك يوم مضى بعضك»، وقال بعضهم: «كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة»، ولذا كانوا يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم الصالحة بالموت، بكى معاذ رضي الله عنه عند موته وقال: «اللهم إني لم أحب البقاء في الدنيا لا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، إنما أبكي لظمأ الهواجر وقيام الليالي المظلمة، ومزاحمة العلماء بالركب،

---

(١) رواه الترمذي -كتاب الزهد- باب رقم ٢٢ ٤/ ٤٨٩ ورقم الحديث ٢٣٣٠، ورواه أحمد في المسند ٥/ ٤٠ و٤٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب المرضى- باب تمني المريض الموت ١٠/ ١٢٧ برقم ٥٦٧٣ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه -كتاب الذكر والدعاء- باب كراهة تمني الموت لضرٍ نزل به ١٧/ ٨ .

(٤) رواه الترمذي في سننه -كتاب الزهد- باب رقم ٥٨ ٤/ ٥٢٢ برقم ٢٤٠٤ .

ومجالسة أناس ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر»، وقال أحد الصالحين عند موته: «إنما أبكي على أن يصلي المصلون ولست فيهم، وأن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم»[١].

فما أعظم الانتكاسة بعد الطاعة، وما أقبح العود إلى الغفلة بعد الذكرى والموعظة، كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «**اللهم ثبت قلبي على دينك**»[٢]، ومن دعائه أيضاً: «**اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور**»[٣].

وإن للمداومة على الأعمال الصالحة آثاراً حميدة منها: دوامُ اتصال القلب بخالقه وبارئه، مما يعطيه قوة وثباتاً، وتعلقاً بالله عز وجل، وتوكلاً عليه، ومن ثمّ يكفيه همه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٤].

---

(١) ينظر لما سبق: لطائف المعارف ٥١٩ .

(٢) رواه بهذا اللفظ: ابن ماجه في سننه -كتاب الدعاء- باب دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ٢/ ٣٢٥ وصححه الألباني، ورواه الترمذي في سننه -كتاب الدعوات- باب ٨٩ بلفظ "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" ٥/ ٥٠٣ برقم ٣٥٢٢، ورواه أحمد في المسند ٢/ ١٦٨ بلفظ "اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك" وله روايات أخرى .

(٣) جزء من حديث رواه عبدالله بن سرجس رضي الله عنه، روي "الكور" و "الكون"، رواه مسلم في صحيحه -كتاب الحج- باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهاً لسفر حج أوغيره ٩/ ١١١، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٨٣، وابن ماجه في سننه -كتاب الدعاء- باب ما يدعو به الرجل إذا سافر ٢/ ٣٣٦ وصححه الألباني، والمعنى: أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل: هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية، أو الرجوع من شيء إلى شيء من الشر، وقيل: الرجوع عن حالة مستقرة جميلة" ينظر: شرح النووي ٩/ ١١١ .

(٤) سورة الطلاق، الآية ٣ .

ومن الآثار كذلك: تعاهد النفس عن الغفلة، وترويضها على لزوم الخيرات، حتى تسهل عليها فلا تكاد تنفك عنها رغبة فيها، وقد قيل: «عليك نفسَك إن لم تشغلها، شغلتك»[١].

ومن آثار المداومة على العمل الصالح، أنه سبب لمحبة الله تعالى عبده وولايته له، وذلك فضل عظيم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»[٢] متفق عليه، قال النووي: «وفيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة »[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**» الحديث

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٥، ٣٥٠، مجموع الفتاوى ٨/ ٢٢٣، ١٤/ ٣٣٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الرقاق- باب القصد والمداومة على العمل ١١/ ٢٩٤ برقم ٦٤٦٤، ورواه مسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين- باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ٦/ ٧٢ واللفظ له.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٧١.

رواه البخاري.

ومن آثار المداومة على العمل الصالح، أنها سبب لحسن الختام، لأن المؤمن لا يزال يجاهد نفسه بفعل الطاعات وترك المحرمات، حتى يقوى عزمه، ويستقيم حاله، ويستمر على العمل الصالح حتى الممات ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[1].

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة ابراهيم، الآية ٢٧.

# الخاتمـــة

الحمد لله وحده والسلام على رسول الله، أما بعد ففي ختام هذا البحث أوجز ما تضمنه فيما يلي:

- الحج أحد أركان الإسلام، ومن أفضل الأعمال حيث جمع فيه بين العبادة المالية والعبادة البدنية، وهو سبب مبارك في تكفير الذنوب ودخول الجنة.
- تضمن الحج حكمًا وأسرارًا عظيمة، ففيه افتقار العبد لربه وذله بين يديه، وتجرده من علائق الدنيا وزينتها، وانقياد تام للكتاب والسنة، وجمع للمؤمنين تحت كلمة واحدة وفي عبادة واحدة، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، وفيه أيضًا تذكير بعرصات يوم القيامة واجتماع الخلائق فيها، وغير ذلك.
- جعل الله لبيته الحرام قدسية ومكانة خاصة، فألزم المؤمنين احترامه وتعظيمه، فلا يحل في حدود الحرم سفك الدماء ولا قطع شجره ولا تنفير صيده، وغير ذلك من الأحكام الشرعية.
- كما جاءت الأدلة من الكتاب والسنة في بيان فرضية الحج وفضله فقد كثرت أقوال الصحابة وسلف الأمة في بيان آكديته والحث على التزود منه، وجاءت أفعالهم تطبيقًا لسنة النبي ﷺ، مع عنايتهم بتصحيح النية وطيب النفقة.

- الحج المبرور هو الحج المقبول ، وقد اعتنى سلفنا الصالح ببيان المراد منه، وتطبيق ذلك، أساس ذلك تحقيق التوحيد والحذر من الشرك، ثم الإتيان بالفرائض والبعد عن المعاصي والذنوب، مع الإحسان إلى الناس، وغير ذلك.
- فضائل يوم عرفة كثيرة، لذا فقد اجتهد سلفنا الصالح قولاً وعملاً في اغتنامه بالدعاء والأعمال الصالح والقربات المتنوعة.
- تضمن يوم عيد الأضحى وأيام التشريق عبادات فاضلة، حث سلفنا الصالح على فعلها واستغلال تلك الأيام بما هي أهله من العمل الصالح.
- عني سلفنا الصالح بمعرفة السنة والسؤال عنها، وتعليمها الناس ودعوتهم إليها، والتزامهم الأدب في ذلك كله.
- كان لسلفنا الصالح عناية بالتمسك بالسنة وتطبيقها، ومن ذلك ما ثبت في الحج، مع تحذيرهم من الخلاف والشقاق.
- للاهتمام بالسنة والعناية بتطبيقها ثمار عظيمة وحسنات متواصلة للمعتني بذلك في الدنيا والآخرة.
- المؤمن الصادق هو الذي يلزم طاعة ربه في كل زمان ومكان، وهذا أيضاً من علامة قبول الحج.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## ثبت المصادر والمراجع


- أدب الدنيا والدين – علي بن حبيب الماوردي – دار الفكر – بيروت – تحقيق: مصطفى السقا – الطبعة الثالثة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي – مطبعة المدني – ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
- الاستقامة – أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – تحقيق محمد رشاد سالم – مؤسسة قرطبة – الثانية.
- اقتضاء الصراط المستقيم – أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – تحقيق: ناصر العقل – مكتبة الرشد – الرياض – الثانية – ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- بدائع الفوائد – محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – بعناية محمد حامد الفقي – مؤسسة الكتب الثقافية – الأولى – ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- تاريخ بغداد – أحمد بن علي الخطيب البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت.
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم – بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني – دار الكتب العلمية – بيروت.

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف – عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري – حققه جماعة من العلماء – دار ابن كثير – بيروت – الأولى – ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير – تحقيق سامي سلامة – دار طيبة – الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن العظيم – عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم – تحقيق أسعد الطيب – مكتبة نزار الباز – مكة – الرياض – الأولى – ١٤١٧هـ/ ١٩٧٧م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق: محمود وأحمد شاكر – دار المعارف – مصر.
- جامع العلوم والحكم – أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي – تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس – مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – أحمد بن علي الخطيب البغدادي – تحقيق محمود الطحان – مكتبة المعارف – الرياض – ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني – مطبعة السعادة – مصر – ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- حلية طالب العلم – بكر عبدالله أبو زيد – مؤسسة قرطبة – دار الراية – الثالثة – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الدر المنثور في التفسير بالأمثور – عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- ذم الموسوسين – عبدالله بن أحمد بن قدامة – تحقيق: حسن بن أيمن آل مندوه – الفاروق الحديثة – القاهرة – الأولى – ١٤٠٧هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد – محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية – تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة.
- الزهد – أحمد بن عمرو بن أبي عاصم – تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد – دار الريان للتراث – القاهرة – الثانية – ١٤٠٨هـ.
- الزهد والرقائق – عبدالله بن المبارك – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمد بن ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- السنة – محمد بن نصر المروزي – تحقيق: سالم السلفي – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – الأولى – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني – تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد – المكتبة العصرية – بيروت.
- سنن الترمذي «الجامع الصحيح» – محمد بن عيسى الترمذي – تحقيق أحمد شاكر – مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر – الثانية – ١٣٩٨هـ.
- سنن الدارمي – عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي – دار الكتب العلمية – بيروت.
- السنن الكبرى – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي – دار الفكر – بيروت – بدون.
- سنن النسائي – أحمد بن شعيب النسائي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- سير أعلام النبلاء – محمد بن أحمد الذهبي – تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- شرح النووي لصحيح مسلم – أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – دار الفكر – بيروت – الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- شعب الإيمان – أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق محمد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٠هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الثالثة – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- صحيح سنن ابن ماجه – محمد ناصر الدين الألباني – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الثالثة – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- صفة الصفوة – أبو الفرج بن الجوزي – تحقيق: محمود فاخوري – دار المعرفة – بيروت – الثالثة – ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ضرورة الاهتمام بالسنن النبوية – عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم – دار المنار – الرياض – الأولى – ١٤١٤هـ.
- طبقات الحنابلة – محمد بن أبي يعلى – دار المعرفة – بيروت.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – تحقيق زكريا علي يوسف – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود – محمد شمس الحق أبادي – تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان – دار الفكر – الثالثة – ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن باز – المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٨٠هـ.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير – محمد عبدالرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة – ١٩٨٣م.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف – عبدالرحمن بن رجب الحنبلي – تحقيق: ياسين السواس – دار ابن كثير – الأولى – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الكتاب العربي – بيروت – الثالثة – ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم – مكتبة ابن تيمية – بدون.
- مختصر منهاج القاصدين – أحمد بن عبدالرحمن المقدسي – بعناية عبدالله الليثي الأنصاري – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- مدارج السالكين – محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية – تحقيق: حامد الفقي – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- المستدرك على الصحيحين – أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – بدون.
- المسند – أحمد بن محمد بن حنبل – المكتب الإسلامي – ١٣٩٨هـ.
- مسند الطيالسي – سليمان بن داود الطيالسي – مطبعة دائرة المعارف النظامية – الهند – الأولى – ١٣٢١هـ.
- المصنف – عبدالرزاق بن همام الصنعاني – تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت – الأولى – ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

- معجم البلدان – ياقوت بن عبدالله الحموي – دار صادر – بيروت – ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- المعجم الكبير – سليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق حمدي السلفي – الدار العربية للطباعة والنشر – بغداد – الأولى.
- معرفة علوم الحديث – أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم – بعناية معظم حسين – المكتبة العلمية – المدينة المنورة – الثانية – ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- مفتاح دار السعادة – محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون.
- منهاج السنة النبوية – شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – طبع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الثانية – ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- الموطأ – مالك بن أنس – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- نصب الراية لأحديث الهداية – عبدالله بن يوسف الزيلعي – المكتب الإسلامي – بيروت – الثانية – ١٣٩٣هـ.

# فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة